خزائن الكتب بالمدارس في العصر المملوكي

إعـــداد

أ.د/ عبد رب الرسول سليمان محمد

أستـــاذ الـتربيـــة الإسـلاميـــة

كليـــة الـــتربيـــة - جـــامعـــة الأزهـــر

خـــزائـــن الكتـــب بـالمـدارس فـي العصـر المملـــوكـــي

إعـــداد

أ.د/ عبـد رب الرسـول محمـد

أستـاذ التربيـة الإسلاميـة

كليـة التربيـة – جامعـة الأزهـر

مقـــدمـــة البحـــث:

يعتبر العصر المملوكي بشطريه البحري والبرجي من أهم العصور في حياة مصر الإسلامية، ويقسم المؤرخون المماليك إلى قسمين: المماليك البحرية وهم الملوك الأتراك وبدأ حكمهم من عام (٦٤٨- ٧٨٤هـ)/ (١٢٥٠- ١٣٨٢م) وعددهم أربعة وعشرون ذكراً، وأول من حكمهم السلطانة شجرة الدر- زوجة عز الدين أيبك، وحكمت مصر ثمانين يوماً، وآخر سلاطينهم صبي هو السلطان الملك الصالح زين الدين حاجي (٧٨٣- ٧٨٤هـ)/ (١٣٨١- ١٣٨٢م)، وبه انقضت دولت المماليك البحرية(١).

وأما المماليك البرجية فقد أسكنهم المنصور قلاوون في أبراج القلعة وسماهم البرجية وأولهم الظاهر أبو سعيد برقوق وآخرهم السلطان الغوري وامتد عهدهم ما بين سنتي (٧٨٤- ٩٢٣هـ)/ (١٣٨٢- ١٥١٧م).

والمتتبع للتاريخ لا يجد في تاريخ العالم نظيراً لعصر المماليك، فهم طائفة من الأرقاء المشترين بالأموال، كثر عددهم، وتربوا تربية خاصة وواتتهم ظروف خارجية وداخلية جعلتهم يقفزون إلى حكم قطر غني كمصر، ووضعوا أيديهم على بلاد أخرى خارج هذا القطر(٢)، وأصبحوا القوة التي قدر لها أن تسيطر على مصائر العباد والبلاد أكثر من قرنين ونصف من الزمان.

وحكم المماليك البلاد المصرية بوصفهم طبقة عسكرية ممتازة، استأثروا بالحكم وشئون الحرب، ونظروا إلى الأهالي على أنهم أقل منهم، لا ينبغي لهم أن يشاركوهم في الحياة الحربية أو السياسية، وإذا سمح لبعضهم بالمشاركة في شئون الحكم فبالقدر المحدود الذي تخوله صلاحيتهم(٣).

ورغم أن المماليك ينتسبون إلى أصول غير عربية، متعددة الجنسيات، إلا أنهم كانت لهم أياد بيض في ازدهار النشاط العلمي في مصر، وخير ما يعبر عن ازدهار الحياة العلمية في عصر سلاطين المماليك هو العناية بإنشاء عديد من المؤسسات التعليمية كالمدارس والمساجد والزوايا والخوانق والربط.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث فيما يلي:

إن المحافظة على التراث الإسلامي وتجليته للأجيال القادمة أمر في غاية الأهمية في عصر كادت فيه أن تضيع شخصيتنا الأصيلة وهويتنا التي يجب تدعيمها وترسيخها.

ولا حاضر لأمة تجهل ماضيها، ولن تستطيع أمة أن تنهض وتحقق مثلها العليا إذا لم تكن على صلة بماضيها، لتجعله أساس النهضة والبناء والتقدم.

أهداف البحث:

- يستدف البحث الحالي التعرف على خزائن الكتب بالمدارس في العصر المملوكي.
- التعرف على العناصر الخالدة في تراثنا الإسلامي في عصر أهملنا فيه تراثنا وفرطنا فيه وقد آن الأوان أن نلتفت إليه حتى يتعرف النشء العربي على مآثر أجداده في ميادين العلوم، ليشعر أن أجداده استطاعوا أن يشيدوا حضارة شرقية عربية إسلامية لا يزال العالم ينعم بآثارها، وما أحوجنا اليوم أن نستلهم ماضينا المشرق.

منهج البحث:

استخدم الباحث لمعالجة موضوع البحث المنهج التاريخي "الاسترشادي" الذي يعمد إلى الكشف عن خزائن الكتب بالمدارس في فترة تاريخية معينة، وهى في هذا البحث فترة حكم المماليك في مصر، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأولية المختلفة، وكذلك الاستعانة بالمصادر الثانوية ذات الصلة بموضوع البحث.

مصطلحـــات البحـــث:

كلمة خزائن جمع "خزانة"

وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في سورة الحجر، قال تعالى﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.

وفي سورة الأنعام، قال تعالى ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

وفي سورة هود، قال تعالى ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

وفي سورة يوسف، قال تعالى ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾

وفي سورة الإسراء، قال تعالى﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا﴾

وفي سورة الطور، قال تعالى ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾

وفي سورة المنافقون، قال تعالى ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

وخزائن الشيء هو محرز الشيء أو حافظه، والمقصود به: المسئول عن المكتبة أو أمينها يشرف عليها وينظم العمل بها وفقاً للشروط التي يعنيها الواقف في حجة وقف المنشأة ووظيفته تربوية توجيهية تهدف أولاً وأخيراً إلى تعريف الطلبة وغيرهم من الدارسين بتراثهم وتوجيههم إلى مصادر المعرفة وإعانتهم على تحصيلها(٤)، مع تقديره لقيمة كتب العلم متولي الإشراف عليها صائناً لها محافظاً عليها.

خطة السير في البحث:

يسير هذا البحث وفقاً للمحاور التالية:

- **أولاً:** أهمية المكتبات ودورها التربوي.
- **ثانياً:** المكتبات وأثرها في الحركة العلمية في العصر المملوكي (الخدمة المكتبية- موظفو المكتبات المدرسية- خزائن كتب المدارس ومواعيد فتحها- نظام الاستعارة والاطلاع على خزائن الكتب.
- **ثالثاً:** المدارس في العصر المملوكي ونماذج لها ومكتبات المدارس.
- نتائج البحث وتوصياته ومقترحاته.
- ثبت بالمصادر والمراجع.

أولًا: أهمية المكتبات والدور التربوي لها:

تعتبر المكتبات القاعدة الأساسية التي يمكن أن تقوم عليها مختلف الجهود الثقافية في مجتمع من المجتمعات وفي مقدمتها الجهود التربوية كما يمكن أن تتخذ معيارا للحكم على مدى تقدم المجتمع(٥).

ولقد أصبحت المكتبة في عصر التخصص وتعدد قطاعات المجتمع قوه تماسك وترابط واتصال كما تعد جزءا هاما من مرافق المؤسسة التعليمية لما تؤديه من خدمات تعليميه وتثقيفية وتربوية متنوعه فهي مدرسة داخل المدرسة وجامعة داخل الجامعة وهي معلم متعدد التخصصات إلى جانب المعلمين والأساتذة(٦).

وللمكتبة في أي مؤسسة تربوية دورين تستطيع القيام بهما(٧):

- **الدور الأول:** هو أن تحتوي على مجموعة من المراجع التي يرجع إليها الطلاب والأساتذة للحصول على ما يريدون من معلومات.
- **الدور الثاني:** هو أن تنمي في المتعلمين حاسة القراءة وتحفزهم إلى تكوين تطلعات علمية وتعلمهم كيف يصلون إلى ما ينشدون من حقائق ومعلومات.

ودور المكتبة في عمليه التعلم والتعليم من خلال قيامها بوظيفتين أساسيتين هما(٨):

١- الـوظيفـة التعليميـة المبـاشـرة:

وهي تعليم الطلاب كيفيه استخدام المكتبة واكسابهم مهارات البحث عن المعارف المختلفة وذلك من خلال البرامج التعليمية التي تقدمها المكتبة.

٢- الـوظيفـة التعليميـة غيـر المبـاشـرة:

وهـي إتاحـة فرص التعليم الذاتي والدراسة المستقلة للطـلاب من خـلال الربط بين المكتبـة الجامعية وبين العملية التعليمية بكل عناصرها.

ثانيًا: المكتبـــات فـي العصـــر المملـــوكـــي:

كـان للمكتبـات الاسـلامية شـأن جد عظـيم، فمنـذ التنزيـل الأول "أقرأ" كـان للقراءة والكتابـة والمقروء والمكتوب اهتمام كبير فصحف القرآن الكريم المكتوبة كانت تتخذ من مسجده عليه السلام ومن بيته مقرًا لها، والقرآن المجموع في عهد الصديق تداولـه أكثر من بيت من بيوت الخلافة، وكثير من أصحاب الرسول الكريم سعد بن عبادة وعلي وابن مسعود وابن عمرو بن العاص كان لهم ما يمكن تسميته مكتبات عامة في حدود زمانهم(٩).

لهذا ارتبطت حضارة الإسلام واتسع أفق علمائه وانتشار المكتبات وترجمة الكتب سواء أكانت مكتبات خاصة أو كانت حوانيت وراقين، أم كانت دور علم أنشأها الخلفاء، أم كانت مكتبات عامة كتلك التي كانت في قرطبة وغيرها أم كانت مكتبات مؤسسات تعليمية(١٠).

والجامع وهو مؤسسة الإسلام العظمى كان مقرًا لدراسة وللمكتبة حيث تظهر اهتمامات المدرسين والطلاب العلمية وربما كانت المدرسة المملوكية أغنى كتبًا من بعض الجوامع، لحرص الوقفين على توفير هذه الكتب من مالهم الخاص لطلاب المدرسة ومدرسيها، وأيضًا لأن طبيعة المدرسة وهي داخلة تؤوي ساكنيها ليلًا ونهارًا كان يستلزم توفر الكتب في كل وقت استدامة للحياة العلمية فيها(١١).

وكانت مكتبات المماليك مكتبات مؤسسات ومكتبات أشخاص وكانت مكتبات المؤسسات تتخذ من المؤسسة مكانًا لها ويجب أن يكون مكانها مرتفعًا عن الطريق بعيدًا عن الرطوبة.

ففي وثائق برسباي(خزانة كتبية كبرى برسم كتب العلم الموقوفة على طلبة الجامع المذكور يغلق عليها زوجا باب ... وأما القاعة التي بالدهليز الكبير فجعلها محلا لخوالة الكتب الوقف التي وقفها على طلبة العلم بالجامع المقنن أعلاه)[١٢].

ويبدوا من الوثيقة آنفة الذكر أنه توجد مكتبة كما توجد قاعة مطالعة لأن الخوال وهو ما يؤكل عليه أقرب إلى المستعمل كمكتب يقرأ عليه.

كان من ثمار النهضة الثقافية والتعليمية في عصر دولة المماليك في مصر: الاهتمام بالمكتبات والعناية بالكتب وجمعها، وقد ساعد على ذلك انتشار أسواق الكتب وتجارتها وصناعة الكتاب في القاهرة[١٣].

وقد اهتم سلاطين الممالك وأمراؤهم وذوو اليسار بتأسيس مكتبات المدارس أو الكليات الجامعية، ومكتبات المساجد، والخوانق وغيرها من المؤسسات التعليمية في ذلك العصر الزاهر.

وقد كانت المكتبات بمثابة مدارس للتعليم في شتى العصور الإسلامية ومؤسسات يتفق عليها السلاطين والأمراء والأثرياء والعلماء لينتشر العلم بين الناس، وخصوصًا في ذلك الزمن الذي لم تكن فيه الطباعة موجودة، وكانت الكتب تنسخ على أيدي نساخ متخصصين في هذا العمل، مما جعل ثمن الكتاب مرتفعًا جدًا، فيتعذر على طالب العلم أو العالم الفقير شراؤه، فكيف إذا أراد أن تكون له مجموعة من الكتب في الفن أو العلم الذي يتخصص فيه، من هنا كان قيام المكتبات الإسلامية بشكل عام منبعثًا من عاطفة إنسانية، وعن نزعة علمية في وقت واحد[١٤].

وقد نشأ عن هذه الروح العلمية وانتشار المكتبات في شتي أنحاء العالم الاسلامي، ان قل ما كانت مدرسة ليس بجانبها مكتبة، وقل أن تجد قرية صغيرة ليس فيها مكتبة، أما العواصم والمدن فقد كانت تغص بدور الكتب بشكل لا مثيل له في تاريخ العصور الوسطى[١٥].

ولا يخفى اليوم – كما لم يخف في عصر دولة المماليك أن المكتبات لها أهميتها الكبرى في تحصيل العلم والمعرفة، فهي أداة تربوية حية لخدمة النشء »، حتى أصبحت المكتبة جزءا لا يمكن الاستغناء عنه في كل مدرسة ثانوية[١٦]، بل يمكن و اعتبارها الأساس الذي ترتكز عليه جميع الاتجاهات التربوية الحديثة التي تؤكد على نشاط التلاميذ وفاعليتهم[١٧].

وقد أدرك رجال العلم وسلاطين العصر المملوكى دور المكتبة التربوي « فلم يقتصر وجودها على المدرسة وحدها باعتبارها جزءا ضروريا وحيويا في تكوينها، بل وجدت في المساجد والجوامع والخوانق والزوايا خزانات عامرة، فيا كتب قيمة . وكذلك وجدت مكتبات أو خزانات خاصة كثيرة في ذلك العصر منها: مكتبة كبيرة في قلعة الجبل مقر السلطان المملوكى، وعند الكثير من الأمراء المماليك في قصورهم، وكذلك لدى أغلب العلماء والأدباء والفقهاء، وبعض المماليك الذين اشتهروا بحبهم للكتب، والذين كانوا يتبارون في جميع المخطوطات النادرة، والمصاحف والتحف، وعنوا بالكتب والمصنفات عناية كبيرة جعلتهم ينشئون لها الخزانات الكتبية، يبذلون في جمعها الأموال، وييسرون انتفاع الطلاب والعلماء بها »[١٨].

ومن هنا قامت المكتبة المملوكة بأعظم دور في ارساء قواعد النهضة الثقافة الكبرى في ذاك العصر اذ «قدمت خدمات مكتبية ممتازة، مما ساعد على زيادة فرص التعليم التلقائي باعتبار المكتبية جزءا أساسيا في المدرسة وضروريا للتعليم والتعلم في ذلك العهد. كما أن تعظيم كثير من السلاطين والأمراء المماليك للعلم وأهله، وشعور هؤلاء العلماء والفقهاء بواجبهم العلمي، وتنافسهم في أدائه، قد أدى الى انتشار حركة الدراسة والبحث والتأليف، والدليل على ذلك ما خلفه لنا علماء ذلك العصر وفقهاؤه وأدباؤه من تراث علمي ضخم. فكانت المكتبة المملوكية بكتبها الكبيرة وسيلة جيدة، وقوة دافعة وإيجابية في حياة المدرسة، وأدت وظيفتها على أتم وأكمل وجه لتحقيق فلسفة التعليم في المدارس المملوكية[١٩].

وبالإضافة إلى ما قدمته المكتبة المملوكية في مجال التربية والتعليم فقد عملت على حفظ التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية كما أسهمت في تخريج عدد كبير من مشاهير الفلاسفة والفقهاء واللغويين والأدباء والمؤرخين والعلماء وغيرهم... فكان العصر المملوكي هو عصر النهضة المكتبية في التاريخ الإسلامي، وبالتالي كان عصر التأليف العلمي الذي مدنا بموسوعات وذخائر هي من أجل ما أنتج العقل الإسلامي على طول التاريخ وعرضه[٢٠].

الخدمة المكتبية:

احتوت مكتبات المدارس المملوكية على كتب كثيرة في مختلف العلوم والفنون التي كانت تدرس في ذلك الوقت لتخدم القراء من الفقهاء والعلماء والأدباء والدارسين للفقه، وأصوله على المذاهب الأربعة وعلوم القرآن والتفسير والحديث والقراءات والتاريخ والأدب والتوحيد والفرائض واللغة والطب والمنطق والهندسة والحساب والجبر وغيرها من العلوم[٢١]، وواضح أن هذه الأصناف من الكتب كانت تخدم فئات متخصصة مختلفة، تعمل في مختلف الميادين العلمية.

وقد نظم واقفو المدارس في العصر المملوكى طريقة استخدام المكتبة ونظم الإعارة، فلم تكن إعارة الكتب مطلقة لمن يشاء، فقد وضعوا قيودا عليها لضمان تنظيم الاستفادة منها على أوسع نطاق من جهة، وللمحافظة على موجودات المكتبة من الضياع والتلف من جهة ثانية.

وقد عرفت المكتبة المملوكية فكرة أخذ ضمان من المستعير قبل أن تعرفه المكتبات الحديثة بمئات القرون، فقد كان كثيرا ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته، وهو شرط صحيح معتبر. فليس للخازن (أمين المكتبة) أن يعير إلا برهن[٢٢]، وقد استحسن ابن جماعة إعارة الكتب لمن يقدر قيمتها ويحسن استخدامها لما فيه من الإعانة على نشر العلم وإفادة الناس ونيل الأجر والثواب عند الله [٢٣]، والأولى « لطالب العلم أن يعتنى بتحصيل الكتب المحتاج اليها ما أمكنه شراؤها، وإلا فإجارة، أو عارية، لأنها آلة التحصيل، ولا يجعل تحصيلها وكثرتها حظه من العلم وجمعها نصيبه من الفهم[٢٤]، ويفضل ابن جماعة لطالب العلم « أن يشتري الكتاب خيرا من أن ينسخه، واد؛ اشتغل بالنسخ . فلا يديم ذلك » [٢٥] ويبدو أن هذا حرص منه على الاستفادة من الوقت الضائع في عملية النسخ، قدر الامكان . ومن جهة أخرى، ينهى ابن جماعة طلبة العلم عن استعارة الكتب، اذا كان في امكانهم اشراؤها أو اجاراتها[٢٦]. وربما كان يريد من ذلك، اتاحة فرصة الاستعارة، للطلبة الفقراء.

وتشير وثائق الواقف المملوكية، إلى أن استعارة الكتب في معظم المكتبات في المدارس المملوكية، كانت داخلية فقط[٢٧]، أما الاستعارة الخارجية فقد كانت مقيدة لدرجة كبيرة جدا إلا بدفع

رهن، وربما كان الرهن نقدا أو كتابا. وهذا في حالة الكتب المتعددة النسخ أو القليلة التداول أو المصاحف كما كان يحدث في المدرسة الأشرفية، ومدرسة أم السلطان خوند بركة [٢٨].

وإذا كانت الإعارة الخارجية لبعض الكتب والمصاحف يسمح بها برهن، في بعض مكتبات المدارس، الا أن هناك مكتبات أخرى كثيرة. قد منعتها منعا باتا، لا برهن ولا بغيره [٢٩].

وهكذا يبدو لنا حرص الواقفين على الحفاظ على الكتب الموقوفة، ربما لقيمتها العلمية أو لندرة وجودها أو لقلة نسخها أو بهدف تعميم الفائدة الأكبر عدد من رواد المكتبة، وعلى أية حال فهو حرص له ما يبرره في ذلك الوقت.

وروى المقريزي أن بالمدرسة المحمودية خزانة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر والشام مثلها وهي باقية إلى اليوم لا يخرج منها كتاب إلا أن يكون في المدرسة وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن[٣٠].

يتضح للباحث، مما سبق مدى اهتمام المماليك بالمكتبات التي كانت ترتبط بمؤسساتهم ولم تكن مؤسسة مستقلة، وهذا يكشف عن إدراكهم للدور التربوي للمكتبة فهي وسيلة نشر العلم، ولا غني عنها للمدرس والطالب وهي تساعد الطلاب على الاطلاع قبل عرض المدرس الدرس وبعده، وتهيئ لهم حرية القراءة والبحث في فنون مختلفة كما كانت تهيئ لغير الطلاب والمدرسين الاطلاع داخليا نهارا، وهذا بلا شك انفتاح من المدرسة والخانقاه على المجتمع المحيط بها، واتضح لنا من الوثائق السابقة وغيرها مدى الحرص الشديد على الكتب، لأنها كانت غالية الثمن ولم تكن متاحة لكل طالب وحده، وبعضها كان من نسخة واحدة، وربما لأن البعض كان يستعيرها ولا يردها لهذا منع البرجية الاستعارة الخارجية إلا في حالات نادرة وبرهن أو ضمان موثوق به[٣١].

وكانت نوعية الكتب تختلف من مؤسسة إلى أخرى حسب تخصصها، فمن تقرر فيها دروس المذاهب الأربعة يغلب عليها الشمول في الفقه، ومن قرر في مدرسته مذهبًا معينًا أو مادة محددة اهتم بكتبها، ومن أنشأ خانقاه غلب على كتبها الربعات والمصاحف وكتب الحديث الشريف[٣٢].

وكان مصدر هذه الكتب إما الوقف أساسًا، وإما النسخ على يد موظفين نساخين في المؤسسة، أو مأجرين من الخارج، أو هبة من العلماء وغيرهم لهذه المؤسسة وبالشراء من حوانيت الوراقين وتجار الكتب ويدفع الثمن من ريع الوقت(٣٣).

موظفوا المكتبة:

وكان في المكتبات موظفون مختلفون أهمهم الخازن، وكان يشترط فيه شروط خلقية وعلمية هامة، لأنه أمين على التراث وموجه للطلاب الى ما يناسبهم، ولأهمية هذه الوظيفة تولاها بعض العلماء الكبار كابن حجر العسقلاني الذي كان خازنًا الكتب بالمدرسة المحمودية، وكانت وظيفته كما تشير الوثائق هي تحديد نظام الاستعارة الذي يتلخص في منع الاستعارة الخارجية وتنظيم الاستعارة الداخلية لأبناء المؤسسة ولا تزيد مدتها عن شهر، كما يتيح الفرصة لاطلاع الباحثين من خارج المؤسسة وكل ذلك بشرط المحافظة على الكتب، وان ظهر إهمال من بعض المستعيرين منعه الخازن من الاستعارة، وكان من مهمته أيضا المحافظة على الكتب من البلل والتلف وغير ذلك من أمور جرت بها العادة (٣٤).

وكان يوجد المناول وغالبا ما كان مساعدا للخازن يرشد الطلاب إلى أماكن الكتب لمن يرغب في القراءة أو النسخ، ولا تتعدى خبرته معرفة أسماء الكتب ومواضعها، وكان يطلق عليه في الخانقاوات خادم الربعة الشريفة ويبدو من بعض الوثائق أن هولاء خدام الربعات الشريفات كانوا مرتبين لخدمة وظيفة التصوف ... ويرتب الناظر أربعة أنفس من الصوفية المذكورين أعلاه يتولون إحضار الربعات الشريفة التي بهذه المدرسة المذكورة يفرقون أجزاءها على الجماعات القائمين بوظيفة التصوف بعد صلاة العصر وعند فراغهم يجمعون الأجزاء المذكورة بعد ون بها الى أماكنها على العادة في مثل ذلك(٣٥).

وكان يرتبط بالمكتبة نساخون من الطلاب والصوفية أو من غيرهم ممن يستأجرون أن يشترط فيهم الدقة والأمانة وحسن الترتيب، فإذا انتهوا من عملهم سلموا الكتب مجلدين، وكانت فئة هامة ارتقت بفنها في العصر المملوكي، أما المذهبون فكان يحال عليهم المصاحف خاصة(٣٦).

هذا عن مكتبات المؤسسات التعليمية الدينية التي قامت بدور كبير في نشر الثقافة والمعرفة، فضلًا عن المكتبات الخاصة بالعلماء وكان بعضهم وبخاصة الأثرياء يقتنون أكثر من نسخة من الكتاب الواحد، ولعل حرصهم على إفادة تلاميذهم الذين يأتون إليهم في المنازل، ورغبتهم في اقتناء المجلدات الثمينة في عصر ارتقى فيه التجليد والتذهيب، كان وراء اهتمامهم بتوفير نسخ متعددة من كتاب واحد(٣٧).

خـــزانـــة الكتـــب:

كان من المتعارف عليه أن تلحق بالمؤسسة التعليمية مكتبة يستفيد بها الطلبة وتحتوي على أهم المصادر المخطوطة، ويسمح فيها بالاستعارة الداخلية(٣٨).

وكان يطلق عليها (خزانة الكتب) مما يدل على احتفائهم بالكتاب، إذ جعلوا لحفظ الكتب (خزانة) مثل خزانة الجواهر والأموال والوثائق الثمينة.

وفي تلك العصور الوسطى لم تكن الطباعة معروفة، وكانت الوسيلة الوحيدة للحصول على كتاب معين أن يتم نسخه باليد، وهى مهنة صعبة ومكلفة، مما جعل الحصول على نسخة من أى كتاب فوق طاقة الإنسان العادي، ولهذا قامت المكتبات الملحقة بالمؤسسات التعليمية بدور مهم في تيسير حصول الطالب على الكتاب واستفادته منه، حيث كان يتم تزويد تلك المكتبات بكل الكتب المشهورة والمطلوب الاطلاع عليها، مما وفر على الطلبة ومحبي الثقافة الكثير من الأموال التي كان سيدفعونها في نسخ الكتب التي يحتاجونها(٣٩).

المقريزي يتحدث عن خزائن الكتب: والمقريزي أبرع من سجل للعمارة المصرية في القرون الوسطي عرض في كتابه "الخطط" لكل المؤسسات العلمية والدينية في القاهرة، ونلاحظ أنه كان يذكر اسم المدرسة على المباني التعليمية التي أنشئت قبل القرن التاسع ويذكر ما احتوت عليه من خزائن الكتب، أو المكتبات العامة بتعبير عصرنا.

وذكر من هذه المدارس، المدرسة المنكوتمرية التي بناها الأمير منكوتمر الحسامي سنة ٦٩٨، والمدرسة الملكية بناها الأمير سيف الدين آل ملك في نفس القرن السابع، والمدرسة السابقية

التي بناها الأمير سابق الدين مثقال، ثم المدرسة البشيرية التي بناها الأمير سعد الدين بشير في القرن الثامن سنة ٧٦١ ومدرسة الجاي التي بناها الأمير سيف الدين الجاي سنة ٧٦٨.

والخازن هو أمين المكتبة وكان الخازن هو أمين المكتبة في خزانة الكتب، وقد أطلقت عليه وثائق الوقف ألقابا مختلفة فهو "خازن الكتب" أو " شاهد خزانة الكتب " أو" خازن الكتب والربعات الشريفة" وهذه الألقاب وصف لمهمته في حفظ الكتب ورعايتها، لذا كانت الوثائق تشترط فيه أن يكون " ثقة خيرا أمينا يقظا ذكيا فطنا عاقلا مأمونا بالغا في الأمانة والثقة ونزاهة النفس وقلة الطمع قادرا على القيام بخدمة الكتب عارفا بترتيبها.

وتقول حجة الوقف لخانقاه جمال الدين الاستادار التي أشرنا إليها فيما سبق : (ويرتب من الصوفية المذكورين من غير المجردين " أي من غير المعتكفين للعبادة " شخصا من أهل الخير والديانة والصيانة" أي التقوى" والأمانة يكون خازنا لما بالخانقاه المذكورة من الربعات والمصاحف وكتب العلم الشريف .. وما لعله يتحصل من نفايس الأشياء على العادة.)، أي تسمح حجة الوقف بالاستزادة من الشراء للكتب والمهمات لخزانة الكتب، وتضيف حجة الوقف تعيين ثلاثة آخرين لخدمة الكتب ومعاونة الخازن، وتجعل مرتب الخازن عشرة دراهم شهريا.

الاستعارة الداخلية والخارجية ونقول هنا على عجالة بأن الوثائق – في أغلبها – حددت مهمة خازن المكتبة من حين أن يتسلم الكتب من ناظر الوقف ويشهد عليه الشهود بتسلمها، ثم يتولى الخازن بعدها إحراز الكتب والعناية بها وتقليبها وتفقد أحوالها.

وبعض الوثائق وضعت قواعد الاستعارة أثناء حديثها عن واجبات خازن المكتبة، وهي وثيقة وقف جمال الدين الاستادار فتقول عنه إنه (يتسلم المصاحف والربعات والكتب الجارية بها ويشهد عليه بتسليمها ويقرها بالرواق العالي .. ويحفظها من البلل ويتعاهدها بالتقليب والإصلاح) أي بتنظيفها من التراب والرطوبة.

ثم تبين الوثيقة كيفية الاستعارة الداخلية فنقول: (ومن حضر من طلبة العلم الشريف من أهل الخانقاه المذكورة لاستعارة شيء من الكتب المذكورة ليشتغل فيه سلمه أن كان ثقة، وإن كان ممن يخشى منه منعه إلا أن يضمنه ثقة من أهل الخانقاه المذكورة.

وتقول الوثيقة عن مدة الاستعارة الداخلية للمقيمين داخل الخانقاه والمترددين عليها : (ولا يعر شيئا من الكتب المستعارة بيد المستعير أكثر من شهر واحد من حين استعارته، بل يأخذه منه عند مضي الشهر.

وعن الاستعارة الخارجية تقول نفس الوثيقة: (ولا يمكن أحد من إخراج شيء من الكتب إلى خارج الخانقاه المذكورة.

وعن الاستعارة الداخلية لغير أهل الخانقاه تقول الوثيقة :(وإذا كان المستعير من غير أهل الخانقاه المذكورة سلم إليه ما يريد استعارته فيطالع فيه نهارا بالخانقاه المذكورة ثم يبيتها عند الخادم ثم يستعيدها منه نهارا".

وجدير بالذكر أن بعضهم لم يعمل بذلك الشرط إذ كان علم الدين البلقيني وشرف الدين المناوي يستعيران من خانقاه جمال الدين الاستادار الكتب ويخرجان بها إلى بيوتهما وتمكث عندهما ما شاءا.

وقد وضع جلال الدين السيوطي مؤلفا في ذلك بعنوان " بذل المجهود في خزانة محمود " ومحمود هو اسم صاحب الخانقاه جمال الدين الاستادار، وهذا الكتاب الذي ألفه السيوطي لا يزال مخطوطا بدار الكتب، وقد ذكر فيه ما كان يحدث من أمور الاستعارة بخزانة الكتب بتلك الخانقاه وما كان يفعله البلقيني والمناوي من الخروج بالكتب خلافا لشرط الواقف، ويدافع السيوطي عنهما قائلا "فلولا رأيا ذلك جائزا ما فعلاه".

أما عن أوقات الاطلاع في خزائن الكتب فقد كان أغلبها أوقات الدرس وتبعا لما يشترطه الواقف، وتقول وثيقة وقف السلطان الغوري " ويفتح الخزانة في أيام الدروس يومين في الجمعة لطلبة العلم".

خـــازن الكتـــب:

اسم وظيفة مشتق من الخزن ومهمة من يتولاها القيام بصيانة وترميم الكتب، والمحافظة عليها[٤٠]، وقد كانت هذه الوظيفة من الوظائف الهامة، ولذلك اشترط فيمن يتولاها في مدرسة زين الدين أن يكون من حملة كتاب الله، وطلبة العلم الشريف، ويقوم بخزن الكتب الملحقة بالإيوان

الغربي من المدرسة، وفتحها وحفظها وتعهدها وتنظيفها وإخراجها لطلبة العلم الشريف كي ينتفعوا بها في المطالعة والقراءة والكتابة والمقابلة وغير ذلك، وقد اشترط زين الدين ألا يخرج أي كتاب من هذه الكتب أي خارج المدرسة مهما كانت الأسباب، ويصرف له مقابل ذلك كل شهر ثمانية دراهم وثلث درهما(٤١). ويرتب الناظر في مدرسة صرغتمش شخصًا حنفي المذهب، ثقة أمينًا دينًا خازنًا للكتب والختمات الربعات وغير ذلك بالمدرسة المذكورة، ويصرف إليه في كل شهر خمسون درهمًا نقرة"(٤٢).

وفي مدرسة السلطان المؤيد شيخ يرتب رجلا أمينا ثقة حافظا يكون خازنًا للمصاحف والربعات الشريفة وكتب العلم الشريف، التي تكون بخزانة الكتب بالجامع المذكور، يتولى حفظ ذلك وصفًا بما فيه إصلاح من بعض وغيره على العادة في مثل ذلك، وأنه لا يخرج من الجامع المذكور كتابًا واحدًا فقط، ويصرف له في كل شهر من الشهور ما مبلغه من الانصاف الفضة المذكورة أربعون نصفًا، وفي كل يوم من أيام الأسبوع أربعة أرطال من الخبز القرصه"(٤٣) وقد بالغ بعض الواقفين في وقفياتهم فاشترطوا عند ضياع شيء من الكتب التي بالمدرسة، فعلى المسؤول عنها شراء نظيره من مالة الخاص وليس لجهة الوقف المذكور القيام بشيء من ذلك(٤٤).

نظام تزويد المكتبات بالكتب:

وهي عملية جوهرية في أي مكتبة من المكتبات؛ لأن الكتب _ بكل بساطة _ هي عماد المكتبات وأصلها، وكانت تتم عبر الطرق الآتية:

١- طريقة الشراء:

عرف ذلك العصر مهنة (دلالي الكتب)، وقد تكلم السبكي عنهم فقال: «ألا يبيع كتب الدين لمن يعلم أنه يضيعها، أو ينظرها لانتقادها والطعن عليها، وألا يبيع من كتب أهل البدع والأهواء، وكتب المنجمين، والكتب المكذوبة ...»(٤٥). وكان الشراء يتم بعدة وسائل، منها عن طريق قيام طلاب العلم بشراء الكتب(٤٦)، وأفضل مكان تشترى منه الكتب ويتم تزويد المكتبات بها هو أسواق الكتب، والأمثلة عليه كثيرة في عصر المماليك: ففي دمشق مثلاً وجدت عدة أسواق

للكتب، كسوق الكتب الذي كان بالكلاسة قرب الجامع الأموي، وسوق الكتب عند باب البريد[٤٧]. الوراقيين في القاهرة بجوار مدرسة الأشرف برسباي[٤٨]، وسوق الكتبيين الرئيسي في القاهرة بجوار المدرسة الصالحية[٤٩]. وقد عمل كثير من علماء ذلك العصر ببيع الكتب، ومنهم محمد بن يوسف بن سليمان الكتبي الأمشاطي (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م)، وكان من خبراء ذلك العصر بالكتب[٥٠]، وابن موسى محمد بن علي بن موسى القاهري الماوردي (ت ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) الذي كان وراقاً[٥١]. ومن أوضح الأمثلة على تزويد المكتبات بالكتب عن طريق الشراء مكتبة مدرسة جمال الدين محمود الإستادار الذي اشترى خزانة كتب أحد القضاة لهذه المدرسة، وفيها حوالي أربعة آلاف مجلد[٥٢]. وفعل ذلك واقف المدرسة الضيائية بدمشق؛ إذ كان يعمل على تزويد مكتبة هذه المدرسة بالشراء والنسخ والهبات[٥٣].

٢- طـــريقـــة النســـــخ:

كانت عملية نسخ الكتب ذلك العصر توازي عملية الطباعة اليوم، فكلاهما غايته تكثير عدد نسخ الكتاب.

ومما يدل على وجود مهنة النسخ أقوال عديدة لعلماء ذلك العصر، ومنهم ابن طولون الذي يقول عن الناسخ: «من النساخ من لا يتقي الله، ويكتب على عجلة، أو يحذف في أثناء الكتاب شيئاً، رغبة في إنجازه، إذا كان قد استؤجر على نسخة جملة، وهذا خائن الله تعالى في تضييع العلم»[٥٤]. ويقول ابن خلدون؛ وهو من أعلام عصر المماليك: «وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقة، فهي. حافظة على الإنسان حاجته، ومقيدة لها عن النسيان ومبلغة ضمائر النفس إلى البعيد الغائب، ومخلدة نتائج الأفكار والعلوم في الصحف، ورافعة رتب الوجود للمعاني»[٥٥] ومنهم ابن جماعة الذي فصل في ذكر آداب النسخ والنساخ [٥٦]. ويقول السبكي عن دار الحديث الأشرفية: «ويصرف في شراء ورق وآلات النسخ من مركب وأقلام ودوي وكراسي»[٥٧]، وتذكر وثيقة قاني باي الرماح: «وكل من حضر إليه من طلبة العلم الشريف يمكنه الانتفاع بما يحتاج إليه من الكتب المذكورة في نسخ أو مقابلة أو مطالعة، إلى أن ينهي حاجته ثم يرد الكتاب إلى محله»[٥٨].

وكان لنسخ الكتب طريقتان:

- **الأولى:** تكون بوجود عدد من النساخ، فيملي عليهم شخص آخر، وعند الانتهاء تجري المقابلة على النسخ.
- **الثانية:** تكون بأن ينسخ الناسخ من المخطوط مباشرة دون مساعدة أحد، وبعد الانتهاء من النسخ يراجعها غيره للتأكد من صحة ما نُسخ[٥٩].

٣- طريقة الإهداء:

وهي طريقة تشابه طرق الإهداء اليوم، ويهديها أصحاب الخير أو مؤلفو الكتب أنفسهم، ومن ذلك قيام كاتب السر الشيخ ناصر الدين محمد البارزي (ت٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م) بإهداء خمسمئة مجلد للجامع المؤيدي"[٦٠] وقيام الشاه إسماعيل الصفوي بإهداء كتاب (تاريخ التتار) للمكتبة السلطانية الغورية مع مجموعة من الكتب[٦١]، وقيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإرسال كتب كهدية بمناسبة افتتاح خانقاه في الطريق بين دمشق وحماة[٦٢].

٤- طريقة الوقف:

وهو طريقة لتزويد المكتبات بالكتب، ولا يوجد مكتبة في مصر والشام في عصر المماليك إلا وأوقف عليها الكتب، سواء مكتبات المساجد أم المدارس، وهذا كله مبسوط في كتاب الخطط للمقريزي فيما يتعلق بمصر، وكتاب الدارس للنعيمي فيما يتعلق بالشام.

ومن الذين أوقفوا كتبهم يحيى بن عبد الوهاب الشافعي (ت٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، وقد أوقف كتبه بالجامع الظاهري[٦٣]، وأوقف الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير نحو خمسمئة مجلد على خزانة الكتب بالجامع الحاكمي[٦٤].

العاملون في المكتبة:

كل ما ورد أعلاه كان يرتبط بشكل أو بآخر بالعاملين بالمكتبة؛ إذ كانت المكتبات في عصر المماليك تسير وفق نظام محكم يضمن سيرها بالشكل الصحيح، وقد ارتبط ذلك بعدد من الموظفين كل واحد له مهمته الخاصة به.

العـــاملـــون فـــي المكتبـــة:

١- خـــازن الكتـــب:

وذكر السبكي مهامه فقال: «وحق عليه الاحتفاظ بها، وترميم شعثها، وحبكها عند احتياجها للحبك، والضنة بها على من ليس من أهلها، وبذلها للمحتاج إليها، وأن يقوم في العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء»[٦٥]، أي يقوم ويشرف على حفظها وترتيبها وتصنيفها وفهرستها وصيانتها وتنظيم الإعارة فيها وكان خازن الكتب يتصف بالأمانة والتدين والمعرفة بالكتب[٦٦]، وفي وثيقة المدرسة البرقوقية: «ويرتب الناظر شخصاً من الصوفية المذكورين من أهل الخير والدين خازناً لما يكون بهذه المدرسة من الكتب»[٦٧].

وكانت من مزايا الخازن أنه جميل الخط، فقد كان ينسخ الفهرس أحياناً، وربما كان ينسخ للمكتبة، وكان يشارك مشاركة فعلية في مقابلة النصوص [٦٨]، وكذلك عليه المحافظة على الكتب وصونها من التمزق والتلف والغبار، ويقوم بتجليدها بإشراف الناظر، ويوزع الورق والحبر ويراقب القراء، ويراقب تطبيق شروط الوقف [٦٩]، فإن أهمل الخازن هذه الواجبات عد مسؤولاً من حيث المبدأ، وعليه أن يصلح ما سببه من أضرار، وأن يعيد الكتب المفقودة، لكن هذه القاعدة التي قال بها الفقهاء وصاغها بعض الواقفين بقيت ضمن المجال النظري [٧٠].

ومن أهم مهام خازن الكتب تنظيم استعارتها؛ إذ وحدد الواقفون نظام الاطلاع والاستعارة بدقة تامة بغية الحفاظ على الكتب من الضياع:

- فمن الواقفين من منع الاطلاع على الكتب لمن عرف بتقريطه بها.
- واشترط بعضهم الآخر كتابة اسم المستعير على أن يمحى بعد الإعادة زيادة في الحرص.
- وحرم بعض الواقفين خروج الكتب من المكتبة نهائياً [٧١].
- وفي حال سمح بإخراج الكتاب من المدرسة، فكثيراً ما كان يشترط الواقف ألا يتم ذلك إلا برهن[٧٢].

- والأولى في الإعارة أن تكون للمحتاجين إلى الكتب والعارفين قيمتها[٧٣]. وحدد موعد فتح المكتبة في الأوقات المتوافقة مع الدروس المخصصة [٧٤].
- ونص بعض الواقفين على ضرورة عزل خازن الكتب إذا بدا منه أي تقصير[٧٥].

وسيتم التفصيل بقضية الإعارة في فقرة: نظام الاطلاع والإعارة.

٢- المنـــــاول:

يعد مساعداً للخازن، إذ يقوم بإرشاد القراء إلى مواضع الكتب، وإحضارها لمن يطلبها، ثم يقوم بإرجاعها إلى مكانها بعد الفراغ منها[٧٦]، وتكون معرفته بالكتب سطحية، مثل معرفة أسمائها، وأماكن حفظها، ولا يتجاوز ذلك لمعرفة مضمون الكتب [٧٧].

٣- النـــاظـــــر:

وهو أشبه بالمدير العام للمكتبة، وليس للخازن ومساعديه امتيازات إلا فيما يتعلق بالعمل الداخلي في المكتبة، وقد أعطيت الامتيازات من جهة أخرى إلى ناظر المؤسسة، والناظر من حيث المبدأ النظري والواقع العملي هو الذي يتولى السلطة كلها، وليس الخازن إلا بديلاً عنه في المكتبة، وفي حال عدم الحاجة للخازن يقوم الناظر بإنجاز عمله [٧٨]، وفي المكتبة الظاهرية علامة وقف على كتاب كان موقوفاً على مدرسة الحنابلة في القدس؛ إذ تقول: «والناظر فيه إمام الحنابلة بالقدس الشريف» [٧٩]، وكان وضع الكتب تحت يد الناظر وإشرافه أكثر أمناً[٨٠]، وتذكر وثيقة وقفية بدار الحديث الأشرفية: «وعلى الخازن الاهتمام بترميم الكتب وإعلام الناظر أو نائبه ليصرف فيه من فعل الوقف ما يفي بذلك، وكذا إذا مست الحاجة إلى تصحيح كتاب ومقابلته»، وكذلك «للشيخ الناظر أن يستنسخ للوقف، أو يشتري ما تدعو الحاجة إليه من الكتب والأجزاء، ثم يقف ذلك أسوة ما في الدار من كتبها» [٨١].

٤- الـــوراقـــون:

وهم مجموعة النساخ والخطاطين والمجلدين وغيرهم ممن اتخذوا الوراقة عملاً لهم [٨٢]. وقد جمع بعضهم بين النسخ والتجليد والتذهيب والزخرفة، مثل محمد بن محمد بن أحمد أبو الفتح الأزهري الرسام (ت ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) [٨٣].

وكان هناك موظفون آخرون مثل البوابين والفراشين والطباخين وغيرهم كما نصت بعض الوثائق المملوكية [٨٤].

نظـام تـوزع المكتبـات علـى مـراكـز العلـم:

كان من أنظمة المكتبات توزعها على كل مراكز العلم مشكلة ما يشبه الشبكة العلمية، فألحقت المكتبات في ذلك العصر بالمدارس، والمساجد، والبيمارستانات، وأماكن المتصوفة، والترب، إضافة إلى المكتبات الشخصية المنزلية.

١- مكتبـات المـدارس:

يقول جمال الدين بن نباتة المصري عن مكتبات مدارس دمشق في مقدمة كتابه (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون): «كنت أعرف ببعض خزائن دمشق الوقفية أسفاراً فيها للمطالع منجع، وللأفهام الناسية ذكرى تنفع، فلم يتهيأ أن أعار منها كتاباً ولا أراجع من ألسنة حروفها خطاباً» [٨٥]. ومن هذه المكتبات مكتبة دار الحديث الأشرفية [٨٦]، وكان فيها كتب كثيرة نفيسة [٨٧]. وممن أوقف كتباً فيها القاضي أمين الدين الأشتري أبو العباس أحمد بن شمس الدين الشافعي (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) [٨٨]، وكذلك محمد بن عبد الخالق الأنصاري الدمشقي (ت٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) الذي أوقف كتبه فيها [٨٩].

ومكتبة المدرسة البادرائية: وقد قال ابن كثير سنة (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م): «عمل عزاء واقف البادرائية، الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد البادرائي، وقد أوقف أوقافاً حسنة، وجعل بها خزانة كتب حسنة نافعة» [٩٠]، وقد عمل جمال الدين محمد بن علي بن صالح المصري (ت٧٠١هـ / ١٣٠١م) خازناً للكتب فيها [٩١].

ومكتبة المدرسة الصدرية، واقفها الصدر بن المنجا الرئيس أبو الفتح أسعد بن عثمان بن وجيه الدين أسعد بن المنجا التنوخي الحنبلي (ت ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م) [٩٢]، وممن أوقف كتبه فيها محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) [٩٣][٩٤].

ومكتبة المدرسة الظاهرية الجوانية: وقد بناها الملك الظاهر بيبرس ركن الدين أبو الفتح بيبرس التركي البندقدار الصالحي (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) [٩٥]، وممن أوقف كتبه فيها شيخ العراق عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر الواسطي (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م) [٩٦].

ومكتبة دار الحديث القوصية: وبانيها شهاب الدين القوصي إسماعيل بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي الشافعي (ت٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) [٩٧]، وقد كانت بها خزانة كتب، وممن أوقف كتبه فيها علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن البرزالي مؤرخ الشام (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) [٩٨].

ومن ذلك مكتبة المدرسة النورية في حلب: ومن الذين أوقفوا كتبهم عليها أبو بكر بن أحمد بن علي المعروف بالظهير (ت٥٥٣هـ/ ١١٥٨م) [٩٩]، ومحمد بن علي بن ياسر الأنصاري نزيل حلب (ت٥٦٣هـ – ١١٦٧م)، وقد تولى خزانة الكتب في المدرسة النورية، وأوقف عليها [١٠٠].

والمدرسة الشرفية في حلب: وكان بها خزانة كتب، ومن ضمن هذه الكتب كتاب (الأم) للشافعي، و(تفسير الثعلبي)، و(الحاوي الكبير)، و(الإبانة)، و(التتمة)، وكانت تضم جميع مؤلفات العالم الشهير أبي حامد الغزالي.

والمدرسة الخاتونية في حماه: بنتها المؤنسة خاتون بنت الملك المظفر محمد عمة الملك أبي الفداء (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، وأوقفت عليها وقفاً جليلاً وكتباً [١٠١]. وكذلك أقبل الرهبان في حماة على التأليف والتصنيف ونسخ الكتب، وقد كانت هناك مكتبات في الكنائس والأديرة غنية بالمؤلفات المسيحية التي تتناول موضوعات دينية وعلمية وأدبية [١٠٢].

ومن مدارس القدس المدرسة الجركسية: وأوقفت فيها سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ م) كتب في خزانتها [١٠٣]. والمدرسة الطولونية[١٠٤]: وقد كانت بها خزانة كتب، ومن كتبها (الترغيب والترهيب)

للمنذري زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله (٥٨١- ٦٥٦هـ/ ١١٨٥- ١٢٥٨ م)، وقد نسخ سنة (٨٣١ هـ/ ١٤٢٧م) بخط أحمد بن محمد القلقيلي في المدرسة الطولونية في المسجد الأقصى [١٠٥].

ثالثًا: المـدارس فـي العصـر المملـوكـي:

اهتم سلاطين المماليك وأمراؤهم بإنشاء المدارس اهتمامًا عظيمًا، "حتى أصبح من المعتاد طوال عصرهم، أن يكون من آثار السلطان مدرسة أو أكثر، وينسحب هذا القول على معظم سلاطين المماليك، كما لو كانت هذه المدارس من مظاهر السلطة وشعارها"[١٠٦]، وساعد على هذه الحركة المركز الاقتصادي الذي كانت تتمتع به مصر في ذلك الوقت حيث كانت تتحكم في مسارات تجارة العصور الوسطى، كما جنت أرباحًا طائلة من تجارة العبور بين الشرق والغرب، بالإضافة إلى استغلال المماليك لموارد مصر الزراعية، مما مكنهم من إقامة المؤسسات التعليمية والدينية والاجتماعية[١٠٧].

وكانت خزانة الكتب تحتل مركزًا رئيسيًا كجزء لا يتجزا من المدرسة، فهي ليست قائمة بذاتها، في مبنى مستقل أو ملحق بالمدرسة، بل انها ضمن عمارة المدرسة نفسها، وقبلة أنظار الجميع، فهي مكتبة جامعية متخصصة في مؤسسة تعليمية اجتماعية، وهذا يوفر خدمة مكتبية قريبة[١٠٨]. وغالبًا ما كانت خزانة الكتب في إيوان القبلة بالذات[١٠٩]. وربما كان السبب، الذي من أجله كانت توضع خزانة الكتب في ذلك المكان، هو أن تكون كتبها في متناول الجميع، من العلماء والطلبة والدارسين في مختلف الايوانات في المدرسة المملوكية ذات التصميم المتعامد[١١٠]. وإذا حدث وضاقت خزانة الكتب، بما تحويه من مصاحف وربعات شريفة وكتب مختلفة، نتيجة النمو في حجم المجموعات، كانت تستخدم خزانة أخرى، قريبة منها، بالمدرسة نفسها[١١١].

وبهذا التخطيط كانت المدرسة المملوكية تصمم بحيث تخدم القراء والباحثين خدمة ممتازة في حدود التطور الحضاري. "فالأيوانات في غير أوقات الدروس المقررة طبقًا للأحة المدرسية – كما حددتها وثيقة الوقف– كانت تعتبر من صميم المكتبة، وجزء أصيلًا منها، وكانت مخصصة لخدمة القراء، في المطالعة والنسخ والمراجعة أو المقابلة" [١١٢].

منشئو المدارس:

تعددت فئات بناة المدارس في العصر المملوكي في مصر، اذ لم تكن مقصورة على السلاطين والأمراء، بل شاركت فئات أخرى باذلة الأموال الوفيرة في تأسيس المدارس ووقفها على طلبة العلم. ومن هؤلاء بعض أميرات المماليك. كالأميرة ايدكين زوجة سيف الدين بكجا الناصري، التي بنت "المدرسة الصغيرة"[١١٣] سنة ٧٥١هـ (١٣٥٠م). وأنشأت خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان المدرسة المعروفة بمدرسة أم السلطان[١١٤] سنة ٧٧١هـ (١٣٦٩م)، وأنشأت خوند تتر الحجازية مدرستها المعروفة بالمدرسة الحجازية[١١٥] ... الخ.

وقد أسهم كبار التجار في بناء المدارس. فقد أنشأ رئيس التجار برهان الدين المحلى، مدرسته التي عرفت باسم "مدرسة المحلى" على شاطئ النيل، وبنى بجوارها مكتبًا للأيتام[١١٦]، في بداية القرن التاسع الهجري. وأنشأ كبير التجار ناصر الدين محمد بن مسلم بمدينة مصر مدرسته "المسلمية"[١١٧]. وقد أسهمت أسرة الخروبي –وهم من التجار– بثلاثة مدارس مشهورة[١١٨].

كما ساهم العلماء بنصيب موفور في بناء المدارس، فقد أنشأ الشيخ الإمام مجد الدين الخليلي مدرسته "المجدية الخليلية"[١١٩] بمصر سنة ٦٦٣هـ (١٢٦٤م). وأنشأ الشيخ شمس الدين المراغي "دار الحديث المراغية" على شاطئ النيل[١٢٠].

وكانت المدارس في أغلب الأحيان تسمى باسم منشئيها، وقلما تعرف باسم أحد من مدرسيها أو مكان وجودها. كما هو واضح من أسماء المدارس المعروفة. وكان منشئ المدرسة يقف عليها من الأوقاف ما يكفي للإنفاق على مدرسيها وطلبتها ومستخدميها وعلى إصلاحها وصيانتها. وكان المنشئ "يحدد من تدفع اليهم تلك الأوقاف من المدرسين والطلبة وغيرهم. وربما وقف على طلبة العلم بالمدرسة من لم يساهم في بناها رغبة في المشاركة في اذاعة العلم ونشر الثقافة واستجلابًا للدعاء. وكان يتولى شئون النظر في هذه الأوقاف ناظر يعينه المنشئ، وربما يكون أحد مدرسيها"[١٢١].

وقد اهتم واقفو المدارس بتوفير جميع ما يلزم المدرسة كمدرسة ومسجد في الوقت نفسه. فقد كانت المدرسة تحتوي على قسم داخلي للغرباء، يهيأ لهم فيه الطعام والنوم والمطالعة والعبادة بالمجان، وقسم خارجي لمن يريد أن يرجع في المساء إلى بيت أهله وذويه. وبذلك كانت المدرسة تحتوي على مسجد وقاعات للدراسة وغرف نوم الطلاب ومطبخ وحمام(١٢٢).

تخصصـات المـدارس:

حرص المنشئون للمدارس على تحديد أنواع العلوم أم المذاهب التي تدرس في المدرسة، ونصوا على ذلك في حجج الوقف الخاصة بالمؤسسات التربوية، بحيث لا يجوز لناظر الوقف أن يتجاوز ذلك. وكان من جراء هذا التحديد الدقيق أن أصبح هناك مدارس متخصصة عي أقرب إلى الجامعات أو الكليات الجامعية، منها إلى المدارس، بعرف اليوم، لضخامة مناهجها وقوتها. فقد تخصصت عدة مدارس لدراسة المذهب الحنفي فقط، مثل المهسندارية(١٢٣)، والمدرسة الأيتشية(١٢٤)، والمدرسة الصرغتشية(١٢٥). وخصصت مدارس أخرى لدراسة المذهب الشافعي، كالمدرسة المجدية الخليلية(١٢٦)، والمدرسة الناصرية(١٢٧)، والمدرسة العادلية(١٢٨)، والمدرسة القطبية(١٢٩). وخصص بعضها لدراسة مذهبين، مثل المدارس: القطبية والفارقانية وألجاي وأم السلطان، خصصت جميعها لدراسة المذهبين الشافعي والحنفي(١٣٠)، وخصصت المدرستان الفاضلية والمسلمية، لدراسة المذهبين المالكي والشافعي(١٣١) ...إلخ.

نماذج من المدارس المملوكية:

أقبل المماليك إقبالًا عظيمًا على تشييد العمائر من جوامع ومدارس وأضرحة وحمامات وأسبلة، ويرجع الفضل في ذلك إلى رعاية السلاطين وتشجيعهم العلماء ووقفهم الأوقاف العظيمة للمؤسسات العلمية.

وكان لإنشاء المدارس في مصر في العصر المملوكي أثر كبير في إرساء النهضة العلمية والثقافية في ذلك العصر، وكان من المعتاد طول عصر المماليك أن يكون من آثار السلطان مدرسة أو أكثر وينسجم هذا القول على معظم سلاطين المماليك بداية بالمعز أيبك وانتهاء

بالسلطان الغوري، كما لو كانت هذه المدارس مظهرًا من مظاهر السلطة وشعارها، وسوف نستعرض بعضًا من نماذج المدارس التي أنشئت في مصر في العصر المملوكي، التي كانت موضوع عناية واهتمام سلاطين وأمراء المماليك.

أ) مدارس القاهرة:

١- المدرسة الظاهرية:

أنشأها السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري[١٣٢] على أنقاض قاعة الخيم إحدى قاعات القصر الفاطمي الكبير بجانب المدرسة الصالحية[١٣٣]. ولم يبدأ في بنائها حتى رتب السلطان وقفها، وا ر ألا يستعمل فيها أحد بغير أجرة، وألا ينقص من أجرته شيء[١٣٤]. وشرع في بنائها سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م) [١٣٥]، وكانت المدرسة الظاهرية تضم أربعة أواوين خصص الإيوان القبلي للشافعية وفوض التدريس به للشيخ تقي الدين بن رزين[١٣٦]. والإيوان البحري للحنفية ودرس به مجد الدين ابن العديم[١٣٧]، والإيوان الشرقي لدراسة الحديث وفوض للفقيه شرف الدين الدمياطي[١٣٨]، والإيوان الغربي للقراءات السبع وفوض لكمال الدين المحلي"[١٣٩]. وقد عني الظاهر بيبرس بهذه المدرسة عناية كبيرة، وألحق بها خزانة كتب جليلة تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم[١٤٠]، وبنى بجانبها مكتبًا لتعليم الأيتام القرآن الكريم، كما أنشأ بها مساكن للطلبة والأساتذة[١٤١]. وعندما تم تشييدها افتتحها بيبرس باحتفال كبير، تناظر فيه العلماء والشعراء ومدت الموائد الحافلة[١٤٢].

٢- المدرسة المنصورية:

نسبت المدرسة المنصورية إلى مؤسسها الملك المنصور قلاوون[١٤٣] الصالحي الشهير بالألفي[١٤٤]. لما رأى الملك المنصور التربة الصالحة، أمر بإنشاء تربة ومدرسة وبيمارستان ومكتب سبيل، فأشترى الدار القطبية وما يجاورها من خالص ماله، وعوض سكانها بالقصر المعروف بقصر الزمرد [١٤٥]. وأنشئت تجاه المارستان داخل بابه، بخط بين القصرين [١٤٦]، على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعي[١٤٧]. ورتب فيها درسًا على المذاهب الأربعة لكل طائفة

مدرس وثلاثة معيدين [١٤٨]، كما رتب مدرسًا في الطب حيث سكن ابن النفيس [١٤٩] المدرسة المنصورية وصف فيها تصانيفه المشهورة في الطب. كما رتب بالقبة درسًا للحديث النبوي الشريف [١٥٠] وتولى مشيخة الحديث بالمنصورية أبو الحسن الهكاري[١٥١] ورتب كذلك درسًا لتفسير القرآن الكريم[١٥٢]. وقد أخذ الشعراء يمدحون منشئها ويصفونها، ومن هؤلاء البوصيري صاحب البردة[١٥٣] الذي قال:

عمرت مدرسة ومارستانًا لتصحح الأديان والأبدانا - البحر الطويل-

وتعد المدرسة المنصورية واحدة من أروع المدارس المملوكية التي شيدت بمدينة القاهرة، وكانت تدرس على المذاهب الأربعة ويقول المقريزي: "وكان لا يليها في التدريس إلا أجل الفقهاء المعتبرين[١٥٤]، ومن أعيان مدرسيها: قاضي القضاة بهاء الدين السبكي[١٥٥]، وعبد الغني ابن محمد ابن عبد الواحد[١٥٦]، وعز الدين الرازي مدرس الحديث[١٥٧]، وابن اللحام[١٥٨]، وعلم الدين العراقي[١٥٩] مدرس التفسير بالمنصورية.

٤- المدرسة القراسنقرية:

تقع هذه المدرسة تجاه خانقاة سعيد السعداء، بين رحبة باب العيد وباب النصر[١٦٠]. أنشأها الأمير قراسنقر[١٦١] المنصوري نائب السلطة سنة (٧٠٠هـ/١٣٠٠م) [١٦٢] وبني بجوار بابها مسجدًا ومكتبًا لتعليم أيتام المسلمين القرآن الكريم، وجعل بها درسًا للفقهاء، ووقف على ذلك داره التي بحارة بهاء الدين[١٦٣] وغيرها. وقد درس بها نقيب الأشراف[١٦٤]، ومحمد بن جعفر القنائي[١٦٥]، والسيد الشريف شهاب الدين أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الحسيني الشافعي، وغيرهم[١٦٦].

ب) مدارس الصعيد:

استمرت المدارس في العصر المملوكي في محاربة المذهب الشيعي، مثل مدارس العصر الأيوبي، والدعوة إلى المذهب السني في الأماكن النائية وفي صعيد مصر، المصادر التاريخية أن مدينة إسنا بصعيد مصر كانت مشحونة بالمذهب الشيعي، وحين تولى الشيخ بهاء الدين

القفطي[١٦٧] (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) قضاء إسنا والتدريس في المدرسة العزية[١٦٨] (الافرمية) قام بنصرة السنة ومناهضة المذهب الشيعي[١٦٩].

وأشار الإدفوي[١٧٠] في مقدمة كتابه (الطالع السعيد) أن مدينة إسنا بها مدرستان[١٧١] فقط، إلا أنه في صفحات أخرى من الكتاب نفسه يذكر أسماء خمس مدارس، وقد ذكرت بعض هذه المدارس في مؤلفات أخرى، ويمكن اعتمادًا على هذه المصادر أن تحدد المدارس الخمسة بالمدرسة الإفرنجية[١٧٢]، والمدرسة العزية (الافرمية) [١٧٣]، والمدرسة الغربية[١٧٤]، والمدرسة المجدية[١٧٥]، ومدرسة ابن السديد[١٧٦]، ومن هنا جاء وصف ابن بطوطة مدينة إسنا بأنها: "مدينة عظيمة كثيرة الزوايا والمدارس والجوامع [١٧٧].

ولم يكن بناء المدارس مقتصرًا على السلاطين والأمراء فقط، بل شاركهم كثير من الفئات عن سعة في سبيل ذلك كمدرسة ابن السديد بإسنا، ذلك العالم الذي وقف عليها بساتينه[١٧٨]، وباشر تدريسها بنفسه[١٧٩]، ودرس بها مفرج الأنصاري[١٨٠]. ولم تكن المدارس في مدينة إسنا للدراسة وتحصيل العلم فقط، بل كانت أماكن للعبادة، فقد كان الشيخ إسماعيل بن عبد القوي بن حيدرة الإسناوي (ت ٧٢٠هـ/١٣٢٠م) إمامًا للمدرسة العزية، التي كانت تؤدى بها الصلاة إلى جانب العلم والدراسة[١٨١]. وراجت الحركة الفكرية في مدينة إسنا، بانتشار المدارس في البيئة المجاورة لها، حيث وجد بأسوان ثلاث مدارس[١٨٢]، والأقصر وأرمنت كل منها مدرسة[١٨٣]، وبقنا مدرستان وبهر مدرسة[١٨٤]، وقمولا[١٨٥] مدرسة، والعديد من المدارس في قوص[١٨٦]، وأخميم[١٨٧]، والبهنسا[١٨٨]، وغيرها من بلاد الصعيد، حيث وصف الإدفوي[١٨٩] هذه البيئة العلمية قائلًا:

بلاد بها أهل المكارم والنهي وللعلم فيها طارق وتلميذ

صعيد علا فوق الأقاليم قدره به العيش حلو والمقام حميد – البحر الطويل –

وكانت هذه المدارس بصعيد مصر الأعلى عامة وفي مدينة إسنا خاصة أشبه بالكليات العالية تدرس جميع أنواع المعرفة، وللمزيد حول المدارس خارج القاهرة.

المـرافـق الملحقـــة بالمـدارس:

١- خـــزائـــن الكتـــب:

أنشئت المدارس في مصر لتلقى فيها محاضرات العلوم والمعارف، وألحقت بها خزائن للكتب لجذب العلماء من شتى الجهات[١٩٠]، يرجع إليها المدرسون والطلاب عند الحاجة، ومثال ذلك ما نصت عليه وثيقة وقف السلطان الغوري: "وبها خلوة كبرى، معدة لخزن الكتب بها جنبات خشب نقي، يمنة ويسرة، وصدر مثبتة معدة لحفظ ما فيها من كتب العلم الشريف الموقوفة على طلبة العلم الشريف، لانتفاعهم بها في المدرسة المذكورة، وبهذه المرتبة المذكورة أيضا خزانة معدة لحفظ المصاحف والربعات الشريفة بواجهة"[١٩١].

واحتوت مكتبات المدارس المملوكية كتبا كثيرة في مختلف العلوم والفنون التي كانت تدرس في ذلك الوقت، ويوضح ذلك القلقشندي فيقول: "واعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تحصى وأجل من أن تحصر، لاسيما الكتب المصنفة في الملة الإسلامية، فإنها لم يصنف مثلها في ملة من الملل، ولا قام بنظيرها أمة من الأمم، إلا أن منها كتبا مشهورة قد توفرت الدواعي على نقلها، والإكثار من نسخها، وطارت سمعتها في الآفاق ورغب في اقتنائها"[١٩٢]، من جانب آخر أوقف على المدرسة الظاهرية خزانة كتب اشتملت على أمهات الكتب في سائر العلوم والمذاهب[١٩٣]، وزخرت خزانة الكتب في المدرسة الصرغتمشية بكثير من الكتب النفيسة القيمة في الفقه الحنفي وعلم الحديث وغير ذلك من العلوم الشرعية واللغوية، فقد كانت التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة، وصحاح العربية من الكتب التي حوتها خزانة المدرسة الصرغتمشية[١٩٤]، ومما يجدر ذكره أن أبا الفتح محمد بن محمد بن علي بن صلاح الحنفي المشهور بابن إمام المدرسة الصرغتمشية، قد خلف من الكتب بالمدرسة نحو خمسة آلاف مجلد[١٩٥].

أما عملية حفظ الكتب الموجودة في خزانة الكتب، فكان يقوم بها (خازن الكتب)، ويشترط فيه أن يكون ثقة خيرا أمينا يقظا ذكيا فطنا عاقلا مأمونا، بالغا في الأمانة، والثقة، ونزاهة النفس، وقلة الطمع، قادرا على القيام بخدمة الكتب عارفا بترتيبها[١٩٦]، وتكون مهمته المحافظة على الكتب

المدرجة في خزانة المدرسة، ويذكر السبكي إنه كان واجبا على خازن الكتب "الاحتفاظ بها وترميم شعثها، وحبكها عند احتياجها للحبك، والضنة بها على من ليس من أهلها، وبذلها للمحتاج إليها، وأن يقدم في العارية للفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء[١٩٧]، وزيادة في الحرص على الكتب الموقوفة نجد بعض الواقفين ينص على ضرورة عزل خازن الكتب وذلك "إن بدا من الخازن تقصير أو خيانة في الكتب، استبدل الناظر غيره"[١٩٨]، وقد عمل علي بن أحمد بن إسماعيل بن القاضي قطب الدين القلقشندي خازنا للكتب بالمدرسة الأشرفية سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)[١٩٩].

أما نظام الاستعارة في خزائن الكتب المدارس فهو أمر مباح ميسر للناس، يقول ابن جماعة: "وإعارة الكتب للكلبة والمشيخة أمر قد استحسنه الأولون والآخرون، لما فيه من نشر العلم خاصة، وإفادة الناس عامة حتى عذ من صفات العلماء المحمودة[٢٠٠]، في حين نظم واقفو المدارس في العصر المملوكي طريقة استخدام خزائن الكتب ونظم الإعارة، فلم تكن إعارة الكتب مطلقة لمن يشاء، فقد وضعوا قيودا عليها لضمان تنظيم الاستفادة منها على أوسع نطاق من جهة، وللمحافظة على موجودات خزائن الكتب من الضياع والتلف من جهة ثانية[٢٠١]، فمن الواقفين من منع خروج الكتب نهائيا خارج المدرسة، كما نص على ذلك السلطان الغوري في وثيقة وقفه، "ومن طلب منه كتابا في علم من العلوم أو فن من الفنون يدفعه له لينتفع به في المدرسة، ولا يمكنه الخروج به من المدرسة، ولو دفع إليه شيئا يساوي أضعاف قيمته، فإذا انتفع كل منهم بما طلبه في نسخ منه أو مطالعة أو مقابلة عليه بالمدرسة رده الخازن إلى الخزانة"[٢٠٢]، رغم أن بعض المدارس كانت لا تسمح بالاستعارة الخارجية، مبالغة منها في الحرص على الكتب وخوفا عليها من التلف والضياع كخزانة كتب المدرسة المحمودية التي أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستادار في سنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م) ويصفها المقريزي بأنه: "لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها، وهي باقية إلى اليوم لا يخرج لأحد منها كتاب إلا أن يكون في المدرسة، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن"[٢٠٣]، وكثيرا ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته،

وهو شرط صحيح معتبر، فليس للخازن أن يعير إلا برهن[٢٠٤]، ويرى ابن جماعة أن الأولى: لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه شراؤها، وإلا فإجارة أو إعارة لأنها آلة التحصيل، ولا يجعل تحصيلها وكثرتها حظه من العلم وجمعها نصيبه من الفهم[٢٠٥]، ويفضل ابن جماعة لطالب العلم: "أن يشتري الكتاب خيرا من أن ينسخه واذا اشتغل بالنسخ فلا يديم ذلك[٢٠٦]، ويبدو أن هذا حرص منه على الاستفادة من لوقت الضائع في عملية النسخ قدر الامكان، ومن جهة أخرى ينهى ابن جماعة طلبة العلم عن استعارة الكتب إذا كان في إمكانهم شراؤها أو إجارتها[٢٠٧]، وربما كان يريد من ذلك إتاحة فرصة الاستعارة للطلبة الفقراء

أما مواعيد فتح خزائن الكتب للاطلاع فكانت في الغالب الأوقات المخصصة للدروس طبقا لشرط الواقف، من ذلك ما تشير إليه وثيقة وقف السلطان الغوري: "ويفتح الخزانة في أيام الدروس يومين في الجمعة لطلبة العلم"[٢٠٨].

وهكذا يبدو لنا حرص الواقفين حفاظا على الكتب الموقوفة، ربما لقيمتها العلمية أو لندرة وجودها أو لقلة نسخها أو بهدف تعميم الفائدة على أكبر عدد من رواد خزائن الكتب في المدارس.

النتـــائـــج والتـوصيـات والمقتـرحـات:

توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج من أبرزها ما يلي:

- وجد في العالم الاسلامي أنواع مختلفة من المكتبات منها المكتبة العامة والمكتبة ما بين العامة والخاصة وكانت المكتبات محل تقدير من المسلمين عامتهم وخاصتهم.
- كانت المكتبات في المدارس المملوكية مصدراً كبيراً من مصادر البحث والتثقيف والتعليم للطلبة والعلماء والنساخ وقامت بنفس الدور الذي تقوم به المؤسسات التربوية للتعليم النظامي وغير النظام في العصر الذي نعيشه الآن.
- كان ثمة موظفون للمكتبة المملوكية منهم الخازن والمناول لتقديم الكتب للراغبين في القراءة والنساخون لنسخ الكتب والمترجمون لترجمتها والمجلدون لتجليدها.

- إن أغلب محتويات مكتبات المدارس المملوكية كانت تحتوي على كتب في العلوم العربية والشرعية وكانت تحتوي كذلك على بعض الوثائق الوقفية.
- اهتم سلاطين المماليك بمكتبات المؤسسات التعليمية ولا سيما مكتبات المدارس فزودوها بالكتب والموظفين ونظموا طرق الاستعارة منها ولم يسمحوا بخروج الكتب من المدرسة إلا نادراً.
- تنافس سلاطين المماليك وأمراؤهم والأثرياء من المصريين في إنشاء المدارس وتخصيص الأوقاف للإنفاق عليها وكانت المدرسة في معظم الأحيان تسمى باسم منشئها وكان بانيها يوقف عليها الأوقاف ما يكفي للإنفاق على مدرسيها وطلبتها وباقي مستخدميها ويلاحظ أن المدارس انتشرت بصورة كبيرة في مصر في عصر المماليك.
- حرص المنشئون للمدارس المملوكية على تحديد أنواع العلوم أو المذاهب الفقهية التي تدرس في هذه المدارس ونصوا على ذلك في حجج الأوقاف الخاصة بالمؤسسات التربوية ومعاهد التعليم وقتذاك.
- كان من المتعارف عليه في العصر المملوكي أن تلحق بالمؤسسة التعليمية مكتبة يستفيد بها الطلبة وتحتوي على أهم المصادر المخطوطة ويسمح فيها بالاستعاره الداخلية وكان يطلق عليها (خزانة الكتب) مما يدل على احتفائهم بالكتب إذ جعلوا لحفظ الكتب (خزانة) مثل الجواهر والأموال والوثائق الثمينة.
- لم يقتصر وجود المكتبات في العصر المملوكي على المدارس بل كانت ملحقه أيضاً بالمؤسسات الدينية مثل المساجد والخوانق والزوايا والربط لأن تلك المؤسسات كان لها دور تعليمي إضافة إلى دورها الديني وكانت الخوانق والزوايا والربط مؤسسات لتربية وتعليم المتصوفة .
- لم تكن المكتبة في العصر المملوكي بطبيعة الحال مؤسسة علمية قائمة بذاتها، ولكنها كانت تابعة ومساعدة لمؤسسة تعليمية أخرى كالمدرسة والمسجد والخانقاة أو غيرها لتقوم برسالتها العلمية والتعليمية خير قيام.

- لعبت المكتبة في العصر المملوكي دورا مهما في تشجيع وتنشيط الحركة العلمية التي ساد فيها انتشار المدارس، والتي أُلحق بمعظمها خزائن كتب لتكون عونا للطلاب والأساتذة في البحث العلمي.

كان يتم تزويد المكتبة المملوكية غالبا من عدة طرق، وهي:

- ما يقفه الواقف من ريع حسب حالته الاقتصادية، والذي يحبسه عليها، والهدايا والهبات من الوجهاء والسادة من رعاة العلم لمكتبة المؤسسة التعليمية لتعم بها الفائدة وينتفع بها الطلاب والنّسخ، وشراء من أسواق الوراقين، وتجار الكتب (الكتبيين).
- اشترطت غالب الحجج الشرعية شروطا لمن يشتغل بوظيفة خازن الكتب، وكانت هذه الوظيفة من الوظائف المرموقة في هذا العصر، ومن أجل ذلك تولاها مجموعة من كبار العلماء.
- انقسم نظام الاستعارة في المكتبة في العصر المملوكي إلى قسمين أو نوعين، نوع من الواقفين يبيح الإعارة خارج المكتبة، ونوع آخر لا يبيح الإعارة، أي إخراج الكتاب من المكتبة مطلقا، بل تكون الإعارة داخلية فقط، وكان بعض الواقفين يشترط على المستعير آنذاك أن يترك رهنا يعادل ثمن الكتاب؛ لضمان المحافظة عليه.

التـــوصيـــات والمقتـــرحـــات:

رغم أن البحث التاريخي ليس ملزمًا بتقديم مقترحات وحلول لمشاكلنا الراهنة، إلا أن بحثنا هذا بحكم صلته بتراثنا فيه ما يمكن تقديمه كتوصيات، ويرى الباحث إمكانية الإفادة منها في حياتنا المعاصرة، لكي يمكن للمكتبات المدرسية والجامعية أن تؤدي دورها التربوي على الوجه الأكمل، وأيضًا لمواجهة أوجه القصور بها والتغلب عليها.

- تشجيع طلاب المدارس والجامعات وحثهم على أهمية التردد على المكتبات والإفادة منها، وذلك من خلال تكليف الطلاب بإعداد الأبحاث المختلفة من المكتبة.
- العمل على طول مدة عمل المكتبات بحيث يستمر عملها طوال اليوم الدراسي، ومنح العاملين بالمكتبات عائدًا ماديًا مقابل ذلك.

- توافر الكتب والمراجع في جميع التخصصات العلمية.
- فهرسة وتصنيف الكتب وتنظيمها على الأرفف، وتزويد المكتبات بالكتب الحديثة.
- السماح بالاستعارة الخارجية للطلاب، وخاصة بالكليات التي لا تسمح بذلك.
- تدريب الطلاب على مهارات استخدام المكتبة من خلال إلقاء محاضرات من قِبل أساتذة متخصصين في علم المكتبات والوثائق.
- إدراج مقرر تدريسي باسم(التربية المكتبية).
- تقديم دورات تدريبية لأمناء المكتبات، وتعاون أعضاء التدريس وطلاب الدراسات العليا مع أمناء المكتبات.
- زيادة الحوافز المادية لأمناء المكتبات بالمدارس والجامعات.
- قيام أمناء المكتبات بكتابة تقارير سنوية أو نصف سنوية عن أبرز أوجه القصور بالمكتبات، والمشكلات التي تحول دون تأدية عملها ومحاولة علاجها.
- توافر المراجع والكتب العربية والأجنبية التي تخدم الطلاب والباحثين.
- حث الطلاب على تقديم مقترحات وتوجيهاتهم تجاه المشكلات التي تواجههم عند استخدام المكتبات.
- تحسين العلاقة بين أمناء المكتبات والطلاب، والقيام بتدريب الطلاب على الاستخدام الأمثل للمكتبة، وخاصة الطلاب الجدد.
- إعداد أمناء المكتبات إعدادًا مهنيًا وتربويًا.
- توفير ميزانية كافية للمكتبات المدرسية والجامعية.
- زيادة عدد الموارد البشرية المؤهلة والمدربة لتجويد الخدمات بالمكتبة كمًا وكيفًا.

المـــــراجـــــع:

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، بيروت، دار صادر، د.ت، ص ٢٣٦- ٢٤٤. سموا بالبحرية نسبة إلى بحر النيل لأن السلطان الصالح أيوب اختار لهم جزيرة الروضة وسط النيل لتكون لهم مستقراً ومقاماً، وقد ازداد نفوذهم في عهد السلطان الصالح أيوب ازدياداً خطيراً (سعيد عبد الفتاح عاشور: عصر المماليك في مصر والشام، القاهرة، دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٧٩م، ص٥.

(٢) علي إبراهيم حسني: تاريخ المماليك البحرية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٦٧م، ص ٢٧.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: مرجع سابق، ص ٣٠٨.، وانظر أيضاً: سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية رقم ٢٢٧ من الألف كتاب، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م.

(٤) عبد اللطيف إبراهيم: المكتبة المملوكية، القاهرة، مطابع دار الشعب، ١٩٦٢م، ص٧٥.، سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، دار النهضة المصرية، ١٩٦٢م، ص١٤٦.

(٥) سعيد اسماعيل علي: معاهد التعليم الإسلامي، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م، ص١٨٢.

(٦) عرفات عبد العزيز سليمان: استراتيجية الإدارة في التعليم، القاهرة، مكتبه الانجلو، ط٢، ١٩٨٥م، ص٤٠٦.

(٧) ابراهيم عصمت مطاوع وعبد الغني عبود: في التربية المعاصرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٧م، ص٢٦٣.

(٨) سامي محمد عبد المقصود: دور المكتبات الجامعية في انماط التعليم الجامعي مع التركيز على الجامعات في مصر، رساله ماجستير غير منشوره، كلية التربية، جامعه عين شمس، ١٩٨٦م، ص١٣٥.

(٩) سعيد إسماعيل على: معاهد التعليم الإسلامي ص ١٨٧، ١٨٨

(١٠)عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي: الفكر التربوي والمؤسسات التعليمية بعصر دولة المماليك البرجية، رسالة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة الأزهر ١٩٨١م ص ١٩٣

(١١) المرجع السابق نفس الصفحة

(١٢) وثيقة وقف برسباي ص ص ١٢، ١٩.

(١٣) تحدث المقريزي في كتابه " المواعظ والاعتبار" جـ ٢ ص ٤٧٣ عن سوق الكتب وتطوراته.

(١٤) مصطفى حسني السباعي (مرجع سابق) ص ١٧٧.

(١٥) المرجع السابق ص ١٧٩.

(١٦) المرجع السابق ، ص ٧.

(١٧) عبد ربه محمود وعبد الجليل السيد حسن المكتبة والتربية – القاهرة دار الفكر العربي – ١٩٦٨، ص ٠٢

(١٨) عبد اللطيف ابراهيم على: المكتبة المملوكية (مرجع سابق) ص ١٢:١١.

(١٩) المرجع السابق، ص و(من المقدمة).

(٢٠) المرجع السابق، ص و(من المقدمة).

(٢١) عبد اللطيف إبراهيم: المكتبة المملوكية (مرجع سابق)، ص ٤٥، مقتبس من وثائق كل من: المنصور قلاوون بمحكمة الأحوال الشخصية رقم ١٥ محفظة ٢ – أوقاف ١٠١٠ – حسام الدين لاجين : محكمة ١٧، ١٨ محفظة ٣ – السلطان حسن : محكمة ٤٠ محفظة ٦ – عيسى الزواوي : محكمة ١٦٨، محفظة ٢٨ – المؤيد شيخ : أوقاف ٩٣٨

(٢٢) السبكي (مرجع سابق)، ص ١١١.

(٢٣) ابن جماعة : تذكرة السابع والمتكلم (مرجع سابق)، ص ١٦٧.

٢٤) المرجع السابق، ص ١٦٤.

٢٥) المرجع السابق، ص ١٦٥.

٢٦) المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٢٧) عبد اللطيف ابراهيم : المكتبة المملوكية (مرجع سابق)، ص ٦٢ عن وثيقة فرج بن برقوق: محكمة ٦٦ محفظة ١١

(٢٨) المرجع السابق، ص ٦٢ نقلا عن: ربعة صرغتمش بدار الكتب المصرية رقم ١٥٠ مصاحف لوحة رقم ٨.

(٢٩)عبد اللطيف ابراهيم: المكتبة المملوكية (مرجع سابق)، – ص ٦٤ – عن وثيقة الجمالي يوسف: محكمة ١٠٥ محفظة ١٦ – وثيقة المؤيد شيخ : اوقاف ٩٣٨ – وثيقة أزيك من ططخ : محكمة ١٩٨ محفظة ٣١.

(٣٠) المقريزى: المواعظ والاعتبار جـ ٢ مرجع سابق، ص ٣٩٥.

(٣١) عبد الغني عبد العاطى : التعليم في مصر، مرجع سابق، ص٢٠٤، ٢٠٥.

(٣٢) عبد البديع الخولي: مرجع سابق، ص١٩٥.

(٣٣) وثيقة وقف المؤيد شيخ ص ٥٠.

(٣٤) عبد اللطيف ابراهيم علي: دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عهد السلطان الغوري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م ص ١٥٦،١٥٧ ،عبد الغني عبد العاطى: التعليم في مصر، مرجع سابق ص ٢٠٧ – ٢١٤.

(٣٥) وثيقة وقف السلطان برقوق: مرجع سابق.

(٣٦) عبد الغني عبد العاطي: التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، مرجع سابق، ص ٢١٦، ٢١٧.

(٣٧) عبد البديع الخولي ، مرجع سابق ، ص ١٩٧.

(٣٨) أحمد صبحي منصور: **خزانة الكتب أو المكتبات العلمية في الدولة المملوكية**، موقع أهل القرآن، تم النشر بتاريخ ٦/١٣/ ٢٠٠٩م.

(٣٩) المرجع السابق.

(٤٠) السبكي، معبد النعم، ص١١١؛ ابن طولون، نقد الطالب، ص ١٥٧.

(٤١) وقفية مدرسة يحيى زيد الدين، دار الوثائق (١١٠)، سطر ١٢٧٠-١٢٧٢.

(٤٢) وثيقة الأمير صرعتمش، أوقاف (٣١٩٥)، و ٣٣-٣٤.

(٤٣) وثيقة السلطان المؤيد شيخ، أوقاف (٩٨٣)، ص ١٤٤، سطر ٥٩٦-٦٠٠.

(٤٤) وثيقة محمد بك، وزارة الأوقاف بمصر رقم (٩٠٠)، ص ١٠١-١٠٢.

(٤٥) تاج الدين عبد الوهاب السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، تح: محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، دار الكتاب العربي، مصر، ط١، ١٩٤٨م، ص١١٠.

(٤٦) بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، تح: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٨م، ص١١٦.

(٤٧) عمر رضا كحالة: العلوم العملية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٢م، ص٢٨٠.

(٤٨) السيد السيد النشار: تاريخ المكتبات، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٣م، ص ١٦١.

(٤٩) أحمد بن علي المقريزي: خطط المقريزي، تح: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٣م، مج٣، ص٣٣٨ ٣٣٩. إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتبة التجارية، بيروت، ج٤، ص٤٤- ٦١- ٩٥.

(٥٠) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: الضوء اللامع، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج١٠، ص٩٤.

(٥١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص٢٢٢.

(٥٢) شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد سيد جار الحق، مطبعة المدني، ج١ ص٣٩- ٤٠.

(٥٣) يوسف العش: دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط، تر: نزار أباظة، محمد صباغ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م، ص٢٤٤.

(٥٤) شمس الدين محمد بن طولون: نقد الطالب لزغل المناصب، تح: محمد أحمد دهمان، خالد محمد دهمان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص١٧٨. السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص١٠٣.

(٥٥) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط٢، ١٩٨٨م، ص٥٠٨.

(٥٦) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص١١٦- ١٢٤.

(٥٧) تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي: فتاوى السبكي، تح: حسام الدين القدسي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ج٢، ص١١٠.

(٥٨) النشار: تاريخ المكتبات، ص٢٠٢.

(٥٩) محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨١م، ص١٧٥- ١٧٦.

(٦٠) المقريزي: خطط المقريزي، مح٤، ج١، ص٣٤٣.

(٦١) عبد الوهاب عزام: مجالس السلطان الغوري صفحات في تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٣.

(٦٢) أبو الفداء اسماعيل بن علي: المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مج٢، ج٧، ص١١٠.

(٦٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، ص١٩٧.

(٦٤) النشار: تاريخ المكتبات، ص١٦٨.

(٦٥) السبكي: سعيد النعم ومبيد النقم، ص٩٠.

(٦٦) سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، دار النهضة المصرية، ص١٩٥.

(٦٧) مصطفى: الوثائق والعمارة، ص٢٩.

(٦٨) العش: دور الكتب العربية، ص٣٧٠.

٦٩) العش: دور الكتب العربية، ص٣٧٠- ٣٧١.

(٧٠) العش: دور الكتب العربية، ص ٣٧١.

(٧١) أحمد بن علي المقريزي: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه أحمد زيادة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ط١، ١٩٥٨م، ج١، ق٣، ملحق ١٧، ص١٠٤٦.

(٧٢) السبكي: معيد النعم، ص٨٨.

(٧٣) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص١٦٧.

(٧٤) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة، ط١، ١٩٨٠م، ص٢٥٨.

(٧٥) أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص٢٥٧، ٢٥٨.

(٧٦) النشار: تاريخ المكتبات، ص١٤٥.

(٧٧) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٦٦م، ص١٧٦. النشار: تاريخ المكتبات، ص١٤٥.

(٧٨) العش: دور الكتب العربية، ص٣٧٥.

(٧٩) العش: دور الكتب العربية، ص٣٧٥.

(٨٠) العش: دور الكتب العربية، ص٣٧٥.

(٨١) السبكي: فتاوى السبكي، ج٢، ص١٠٩- ١١١.

(٨٢) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص١٠٣- ١٠٤.

(٨٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٦.

(٨٤) النشار: تاريخ المكتبات، ص١٥٠.

(٨٥) حبيب الزيات: خزائن الكتب في دمشق وضواحيها، مطبعة المعارف، مصر، ص٢.

(٨٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٢٠٢، عبد القادر بن محمد النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م، ج١، ص ١٥.

(٨٧) تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناجي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٢م، ج٤، ص ١٧٩- ١٨٠.

(٨٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٥٨٧.

(٨٩) النعيمي: الدارس في تاريخ الدارس، ج٢ ص ١.

(٩٠) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٤١.

(٩١) الدرر الكامنة: ابن حجر، ج٤، ص١٨٤- ١٨٥.

(٩٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٨٩.

(٩٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٨، ص٤٥٠- ٥٢٣.

(٩٤) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج٢، ص٧٠.

(٩٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٥٣٠- ٥٣٥. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص٢٦٤.

(٩٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٦٨٠- ٦٨١. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص٢٦٩.

(٩٧) العبر في خبر من غبر: الذهبي، ج٥، ص٢١٤. الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، ج١، ٧٢.

(٩٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٨، ص٤١٢- ٤١٣.

(٩٩) عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي، ج٢، ص٢٧١.

(١٠٠) أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج٢، ص١٥٨.

(١٠١) محمد كرد علي: خطط الشام، دار العلم، بيروت، ط٢، ١٩٧١م، ج٦، ص١٢٤.

(١٠٢) أحمد خالد جيده: المدارس ونظم التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي، المؤسسة الجامعية، ص١٨٤- ١٨٥.

(١٠٣) خضر إبراهيم سلامة: فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، ج٢، ص ١٥٧.

(١٠٤) مجير الدين أبو اليمن القاضي الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تح: عدنان يونس، مكتبة دنديس، عمان، ١٩٩٩م، ج٢، ص٤٠.

(١٠٥) سلامة: فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى، ج٢، ص ٦٨.

(١٠٦) عبدالغني عبدالعاطي: التعليم في زمن الأيوبيين والمماليك في مصر ، رسالة ماجستير منشورة، كلية الإدارة، ١٩٧٥م، ص١١٨.

(١٠٧) عبدالغني عبدالعاطي: التعليم في زمن الأيوبيين والمماليك في مصر ، المرجع السابق، ص١١٩.

(١٠٨) مصطفى الستا: الحياة الأدبية في مدينة القاهرة، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس- أبريل١٩٦٩م، الجزء الثالث، بإشراف وزارة الإعلام، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١م، ص١٢٧٣، ١٢٧٤.

(١٠٩) المرجع السابق: ص٤١، مقتبس من وثيقة السلطان حسن بالمحكمة الشرعية رقم ٤٠ محفظة٦.

(١١٠) المرجع السابق: ص٤١.

(١١١) المرجع السابق: ص٤٢، مقتبس من وثيقة الغوري رقم ٨٨٣ سطر ١٤٤٨ (وزارة الأوقاف، القاهرة).

(١١٢) عبداللطيف إبراهيم علي: المكتبة المملوكية، القاهرة، مطابع الشعب، ١٩٦٢م، ص٤٤.

(١١٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٣، مرجع سابق، ص٣٦٧.

(١١٤) المرجع السابق: ج٣، ص٣٧٦.

(١١٥) المرجع السابق: ج٣، ص٣٣٤٧.

(١١٦) المرجع السابق: ج٣، ص٣٢٤.

(١١٧) المرجع السابق: ج٣، ص٣٧٨.

(١١٨) المرجع السابق: ج٣، ص ٣٧٧.

(١١٩) المرجع السابق: ج٣، ص٣٦٣، ٣٢٥، ٣٢٦.

(١٢٠) ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيذمر): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٤، القاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٨٩٢م، ص٩٩.

(١٢١) احمد بدوي: مرجع سابق، ص٧٥.

(١٢٢) مصطفى حسن السباعي: من روائع حضارتنا، دمشق، مكتبة دار السلام، ١٩٥٩م، ص١٤٦.

(١٢٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٣، مرجع سابق، ص٢٧٥.

(١٢٤) المرجع السابق: ج٣، ص٢٧٧.

(١٢٥) المرجع السابق: ج٣، ص٢٨٣.

(١٢٦) المرجع السابق: ج٣، ص٢٧٧.

(١٢٧) المرجع السابق: ج٣، ص٣٧٧.

(١٢٨) المرجع السابق: ج٣، ص٣١٨.

(١٢٩) المرجع السابق: ج٣، ص٣١٨.

(١٣٠) المرجع السابق: ج٣، ص٣٢٣، ٣٢٤، ٣٧٥، ٣٧٦.

(١٣١) المرجع السابق: ج٣، ص٣١٩، ٣٧٨.

(١٣٢) ابن دقاق، نزهة الأنام، ص ٤٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٤٩؛ المقريزي، الخطط ج٣، ص ٤٤٧٦ العيني، عقد الجمان، ج٢، ص ١٧٩؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٢٣١؛ العاصمي، سمط النجوم، ج٤، ص ٢٣.

(١٣٣) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٤٧٦؛ الصديقي، قطف الأزهار "مخطوط"، و ١٧٣؛ سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها، ج٣، ص ٢٧؛ بدوي، الحياة العقلية، ص ٤٥-٤٦.

(١٣٤) ابن دقماق، نزهة الأنام، ص ٤٠؛ المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٤٧٦.

(١٣٥) ابن عيد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٨٤؛ المنصوري، مختار الأخبار، ص ٢٣؛ المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٤٧٦؛ العيني، عقد الجمان، ج١، ص ٣٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٨٧؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٣١٢.

(١٣٦) هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين العامري الملقب تقي الدين كان إمامًا بارعًا في الفقه والتفسير ودرس بالظاهرية. اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص ١٤٥؛ الأسنوي، الطبقات الشافعية، ج١، ص ٢٩٣؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٤، ص ١٤٨.

(١٣٧) هو عبدالرحمن بن عمر بن أحمد بن هبة الله الصاحب مجد الدين أبو المجد بن الصاحب العلامة كمال الدين أبي القاسم المعر العقيلي الحلبي الحنفي. المقريزي، المقفى الكبير، ج ٤، ص ٨٩-٩٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص ٤٠٣.

(١٣٨) هو الشيخ شرف الدين أبو محمد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي التوني نسبة إلى تونة وهي بلدة من عمل دمياط. المقر المتقي الكبير، ج٦، ص ١٤٧-١٤٨.

(١٣٩) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر. ١٨٤ء، ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٢٥٦؛ العيني، عقد الجمان، جا، ص السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٢٣١؛ بدوي، الحياة، العقلية، ص ٤٦.

(١٤٠) ابـن دقمـاق، نزهـة الأنـام، ٤٠؛ المقريـزي، الخطـط، ج٣، ص ٧٩؛ السـيوطي، حسـن المحاضرة، ج٢، ص ١٢٣١ الصديقي، شمس محمد بن الشيخ أبي السرور البكري (١٠٠٥-١٠٨٧هـ/ ١٥٩٦-١٦٧٦م)، الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة "مخطوط دار الكتب المصرية، القاهرة، رقم ج١٠٤٠٩، (صوة بالميكروفيلم ورقمه ١٨٣٧٧)، و٨٦، ٨٩.

(١٤١) المنصـوري، مختـار الأخبـار، ص ٢٣؛ ابـن دقمـاق، نزهـة الأنـام، ص ٤٠؛ المقريـزي، الخطط، ج٣، ص ٤٤٧٩ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٢٣١؛ عبد الدايم، مصر في عصري، ص ٥٧.

(١٤٢) المنصوري، زبدة الفكر، و ٩٦؛ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٨٤، ابن دقماق، نزهة الأنام، ص ١٤٠ المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٤٧٧؛ العيني، عقد الجمان، ج١، ص ٣٨٢-٣٨٣؛ عبد المنعم، دراسات في تاريخ الأيوبيين ص ٢٧٥.

(١٤٣) ابن القوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٦٧؛ التويري، نهاية الأرب، جـ٣١، ص ٧٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ، ملحق رقم (٧)، ص ٣٤٦؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٢٣١.

(١٤٤) سمي المنصور فلاوون بالألفي لأن أقسنقر الكاملي كان قد اشتراه بألف دينار. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٩؛ موير، تاريخ دولة المماليك، ص٦٧.

(١٤٥) المنصـوري، زبـدة الفكـر فـي تـاريخ الهجـرة "مخطـوط ، و ١٨٠. ابـن الفـرات، تـاريخ ابـن الفرات، مـج٧، ص ٢٧٨؛ النـويري، نهايـة الأرب، جـا ص ٧٠، ابـن تغـري بـردي، النجـوم الزاهرة، ج٧ملحق رقم (٨)، ص ٣٤٦.

(١٤٦) حسين بن حسن، جامع اللطائف في التاريخ والأخلاق "مخطوط ، مركز الوثائق والمخطوطات الجامعة الأردنية، رقم ٢٨٥، (صورة بالميكروفيلم)، و ١١٨؛ ابن دقماق، نزهة الأنام، ص ٤٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ١٤٩٩، المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٤٨٠؛ الصديقي، قطف الأزهار مخطوط"، و١٧٣..

(١٤٧) المنصوري، زبدة الفكر في تاريخ الهجرة "مخطوط، و ١٨٠؛ موير، تاريخ دولة المماليك، ص٦٦-٦٧.

(١٤٨) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج ٧، ص ٢٧٨؛ المنصوري، مختار الأخبار، ص ٨٥؛ ابن دقماق، نزهة الأنام، ص ٤٠، المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٤٨٠؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص ١٧٥-١٧٦؛ الصديقي، قطف الأزهار "مخطوط، و ١٧٣. بدوي، الحياة العقلية، ص ٥١؛ موير، تاريخ دولة المماليك، ص٦٧.

(١٤٩) هو علاء الدين علي ابن أبي الحزم القرشي الدمشقي المعروف بابن النفيس رئيس الأطباء، الأسنوي، طبقات الشافعية، ج٢، ص ٢٨٤.

(١٥٠) الصديقي، قطف الأزهار "مخطوط"، و١٧٣-١٧٤.

(١٥١) هو أحمد بن أحمد بن الحسين بن موسى بن موسك الهكاري اشتغل بالحديث وولي مشيخة الحديث بالمنصورة، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ١٠٥.

(١٥٢) ابن دقماق، نزهة الأنام، ص ٤٠؛ المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٤٨٠؛ الصديقي، قطف الأزهار "مخطوط ، ١٧٤.

(١٥٣) المقريزي، المقفي الكبير، ج٥، ص ٦٦٧-٦٦٨.

(١٥٤) المقريزي، الخطط، ج ٣، ص ٤٨٠.

(١٥٥) هو أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام العلامة الفقيه المحدث قاضي القضاة بهاء الدين أبو حامد بن شيخ الإسلام تقي الدين السبكي الشافعي، ابن العراقي، الذيل على العبر، ق٢، ص ٣٣٤-٣٣٥؛ ابن تغري بردي، المنهل ٤-٤٠٩؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٥٨٨.

(١٥٦) الصفدي، أعيان العصر، ج ٣، ص ١١٤.

(١٥٧) ابن العراقي، الذيل على العبر، ق٢، من ٤٨٤.

(١٥٨) هو علي بن محمد بن عباس بن فتيان الشيخ الإمام العالم العلامة علاء الدين أبو الحسن البعلي الأصل الدمشقي. ابن القاضي شهبه، تاريخ ابن قاضي شهبه، مج٤، ص ٢٢٦.

(١٥٩) هو عبدالكريم بن علي بن عمر الأنصاري علم الدين العراقي، فقد اعتنى بالعلوم الشرعية والفقه والأصول والعربية. ابن القاضي، درة الحجال، ج٣، ١٥٤.

(١٦٠) المقريزي، الخطط،ج٣، ص ٥٠١؛ المفريزي، السلوك، ج٣، ص ٣٢٧؛ الصديقي، قطف الأزهار "مخطوطا، و ١١٧٤. رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، مج٣، ص ٤٩.

(١٦١) هو الأمير شمس الدين الجوكندار المنصوري، ترقي في خدمة الملك المنصور قلاوون إلى أن ولاه نيابة السلطنة بطلب سنة ٦٨٢ هـ وكان فراسنقر صاحب رأي وتكبير ومعرفة، المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٥٠١، ١٥٠٦ المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٣٢٧.

(١٦٢) الصديقي، قطف الأزهار "مخطوط، و١٧٤.

(١٦٣) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٥٠١؛ شمس الدين، ابن تغري بردي، ص ١٦٧؛ الفرغلي، الدليل الموجز، ص ٢٣٨.

(١٦٤) هو الحسين بن محمد بن الحسين بن الحسن بن زيد بن طغر بن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق الشهير بأبي الركب نقيب الأشراف بالديار المصرية، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص ١٦٩-١٧٠.

(١٦٥) هو محمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الشريف عز الدين بن تقي الدين القنائي الفقيه الشافعي. الانفوي، الطالع السعيد، ص ٦٢٨-٦٢٩.

(١٦٦) ابن العراقي، الذيل على العبر، ق١، ص ٦٩-٧٠.

(١٦٧) هو هبة الله بن عبد الله بين سيد العذري الشيخ بهاء الدين القفطي يكنى أبا القاسم، نزيل مدينة إسنا حاكمًا ومعيدًا ومدرسا بها توفي بإسنا بالمدرسة المجدية سنة ٦٩٧هـ. انظر: الادفوي، الطالع السعيد، ص ٦٩١-٦٩٩؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص ١٦؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص ٤٣٩-٤٤٠.

(١٦٨) سميت بالعزية نسبة إلى الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله التركي الصالحي النجمي المعروف بالأفرم صاحب المدرسة، ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص ١٢٥٨ الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص ١٣٩.

(١٦٩) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص ٤٥٠.

(١٧٠) هو جعفر بن عبد بن جعفر علي بن المطهر بن نوفل كمال الدين أبو الفضل الادقوي الشافعي صاحب كتاب الطالع السعيد وعمل بالمدرسة الصالحية، المقريزي، المقفي الكبير، ج ٣، ص٣٦.

(١٧١) الادفوي، الطالع السعيد، ص ٤٤.

(١٧٢) المصدر نفسه، ص ١٤٤.

(١٧٣) ابن اياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، نشق الأزهار في عجائب الأقطار "مخطوط"، مركز الوثائق و المخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم ٣٥٨، (صورة بالميكروفيلم)، و٥٨.

(١٧٤) الادفوي، الطالع السعيد، ص ٢٢٨.

(١٧٥) الادفوي، الطالع السعيد، ص ١٤٤٦ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٢، ص ٤٤٠؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص ٤١٧.

(١٧٦) تنسب هذه المدرسة إلى هبة الله بن علي بن السيد الشافعي الاسناني باقي هذه المدرسة، الانفوي، الطالع السعيد، من السلوك، ج٢، ص ١٣٨٥ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٥ ص ١٧٦؛ ابن تغري بردي النجوم الزاهرة ج ٨، ص ١٦٩.

(١٧٧) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، مج١، ص ٢٢٩.

(١٧٨) الادفوي، الطالع السعيد، ص ٦٩٩.

(١٧٩) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٥، ص ١٧٦.

(١٨٠) هو علي بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن مفرج الأنصاري شمس الدين القوى الإسكندري الشافعي، ابن حجر العسقلاني، ج ٣، ص ١٧٣-١٧٤.

(١٨١) الادفوي، الطالع السعيد. ١٦١؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص ٣٩٧.

(١٨٢) الادفوي، الطالع السعيد، ص ٤٤.

(١٨٣) الادفوي، الطالع السعيد، ص ١٤٤، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص ٢٠-٢١.

(١٨٤) الادفوي، الطالع السعيد، ص ٤٤.

(١٨٥) قمولا: بليدة بالصعيد الأعلى غرب النيل تابعة لقوس، محمد رمزي، القاموس الجغرافي، ج٤، ق٢، ص ١٨٣.

(١٨٦) الادفوي، الطالع السعيد، ص ٤٤.

(١٨٧) إخميم مدينة على ساحل النيل وبها تقي الدين أن السراج، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، مج١، ص٢٢٧؛ ابن دقماق، الانتصار، ج٥، ص ٢٥.

(١٨٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، ص ٣٠.

(١٨٩) الادفوي، الطالع السعيد، ص ٤٥.

(١٩٠) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص ٣.

(١٩١) وثيقة الغوري: أوقاف (٨٨٣)، سطر ١٣٣- ١٣٦.

(١٩٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ٥٣٨.

(١٩٣) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج١، ص ٥٥١. المقريزي: الخطط، ج٣، ص ٤٧٩.

(١٩٤) عبد اللطيف إبراهيم: نصان جديدان بقية، ص ١٥٢.

(١٩٥) ابن الحمصي: حوادث الزمان، ج١، ص ٨٦.

(١٩٦) وثيقفة السلطان المؤيد شيخ: أوقاف (٩٣٨)، ص ١٤٤. حجة السلطان قايتباي: اوقاف (٨٨٦)، ص ١٢٩- ١٣٠. وثيقة الأمير صرغتمش: أوقاف (٣١٩٥). و٣٣. أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ٢٥٦.

(١٩٧) السبكي: معيد النعم، ص ١١١. ابن طولون: نقد الطالب، ص ١٥٧. زيتون: تاريخ المماليك، ص ١٨١.

(١٩٨) وثيقة الأمير صرغتمش: أوقاف (٣١٩٥). و٣٤.

(١٩٩) السخاوي: التبر المسبوك، و ٤٠٤- ٤٠٥.

(٢٠٠) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص ١٦٨.

(201) Tritton, Materials On Muslims Education, P.185.

(٢٠٢) وثيقة الغوري: أوقاف (٨٨٣)، سطر ١٤٤٨- ١٤٥١.

(٢٠٣) المقريزي: الخطط، ج٣، ص ٥١٨.

(٢٠٤) السبكي: معيد النعم، ص ١١١. ابن طولون: نقد الطالب، ص ١٥٧. موجز دائرة المعارف الاسلامية، ج ٢٩، ص ٩٠٢٤.

(٢٠٥) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص ١٦٤.

(٢٠٦) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٢٠٧) المرجع السابق: ص ١٦٧.

(٢٠٨) وثيقة الغوري: أوقاف (٨٨٣)، سطر ١٤٤٨.